

أجوبة على أسئلة

بقلم :

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البينانية
بجامعة أم القرى بحكة المكرمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد تلقيت رسالة عاجلة مؤرخة في ١٤/٩/٢٥هـ من معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله عمر نصيف - حفظه الله - يطلب مني فيها -مشكوراً- الإجابة على الأسئلة المرفقة، ومما جاء في الرسالة: «فقد تلقت الأمانة العامة للرابطة من أحد دعائها في زائير العليا رسالة مصحوبة ببعض الأسئلة المقدمة له من الندوة الكبرى الأبرشية.

ولاهية المواضيع التي ستكون مدار بحث في هذه الندوة فإنني أجيب لفضيلتكم هذه الأسئلة. راجياً الإجابة عليها بأسلوبكم المقتنع. وموافاتنا بها في أقرب فرصة ممكنة.

شاكرين ومقدّرين حسن تعاونكم. والله يحفظكم».

ولما كنت حينما تلقيت هذه الرسالة الكريمة قد قطعت بفضل الله تعالى خطوات واسعة في دراستي المتأملة للسورة السادسة عشرة من سور القرآن الكريم، ضمن المشروع الذي بدأته في مطلع عام ١٣٩٢هـ والذي غطى حتى الآن ثلث القرآن الكريم وسبعة آلاف صفحة، وهذه السورة الكريمة هي سورة المائدة، فقد كان عليّ أن أقف في دراستي المتأملة للسورة الكريمة عند نهاية أحد أقسامها، كي يسهل - بإذن الله تعالى - استئناف الدراسة المتأملة بعد الإجابة - بإذن الله تعالى - على الأسئلة المذكورة.

وحيثما ألقيت نظرة على الأسئلة التي طرحها أساساً بالفرنسية أحد القس، تذكّرت على الفور الأسئلة التي انتهت عليّ في مساء يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر مارس عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين ميلادية بعد أن

أُقيمت بالإنجليزية محاضرة في توحيد الأسماء، والصفات في كنيسة ST PE TER'S ANGLICAN CHURCH في مدينة سدنس بأستراليا، من بين خمسة أساتذة، يمثل ثلاثة قسوس فروع الديانة المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية والارثوذكسية، ويمثل خبر واحد اليهودية، وأنا - بفضل الله تعالى - ممثل الإسلام. لقد كان الاتفاق مع القائمين على شئون الكنيسة أن أجيب بعد المحاضرة على ثلاثة أسئلة. وشاء الله تعالى أن أجيب بإيجاز وتركيز على ما لا يقل عن ثلاثين سؤالاً. لقد كنت آنذاك أستاذاً زائراً مبعوثاً من قبل الملك الرأجل خالد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى رحمة واسعة للتدريس في قسم الدراسات السامية بجامعة سدنس في أستراليا للعام الدراسي ١٩٧٦/١٩٧٥م. لقد ذكرتني هذه الأسئلة بالأسئلة التي انتهت عليّ تلك الليلة في الكنيسة، كما ذكرتني بتجربة لطيفة لى في أثناء إلقاء المحاضرة لأن أول سؤال ألقى عليّ كان متعلقاً بهذه التجربة اللطيفة.

أما هذه التجربة اللطيفة فهي أن المحاضرة لما كانت متعلقة بتوحيد الأسماء، والصفات، وكان القرآن الكريم هو المصدر الأول للمحاضرة، وكان رب العزة قد أكرمني بحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، فقد كانت تلك المحاضرة فرصة العمر بالنسبة لى كى أرتل القرآن الكريم ترتيلاً إلى الحد الذى تبينت معه أن فريقاً من الحاضرين فى الصف الأول أخذت تدور بهم الكراسى الفخمة بطريقة غير عادية. لقد فهمت بعد الانتهاء من الإجابة على الأسئلة وبعد أن تم تعريفى بالحضور فى الصف الأول بخاصة، أن أولئك الذين دارت بهم الكراسى فى أثناء تلاوتى للقرآن الكريم بخاصة، والذين كانوا يرتدون الملابس التى يرتديها بقية الحاضرين، لم يكونوا سوى كبار القسوس فى تلك الكنيسة وفى غيرها من الكنائس، ولكنهم غيروا أزياءهم!

لقد كان أول سؤال ألقاه عليّ كبير القسوس - كما عرفت فيما بعد - كان على حسب قوله باسمه وباسم كل الحاضرين: لماذا أكثرتم من قراءة القرآن الكريم وترتيله ترتيلاً ولا يكاد يوجد من بين الحاضرين من يعرف اللغة العربية كى يفهم معنى ما قرأت من القرآن الكريم؟ لقد كان طابع السؤال

صادقاً في عدم وجود من يعرف اللغة العربية رغم الإعلان الواسع عن المحاضرة فلم يكن في القاعة من المسلمين سوى وسوى زوجتى. ولم يكن في القاعة ممن يعرف العربية سوى أحد الأساتذة من قسم الدراسات الشامية بجامعة سدنى.

أما وقد حققت رغبتي من ترتيب القرآن الكريم ترتيباً. بأكثر مما في نص المحاضرة، وذلك في أثناء، إلقاء، المحاضرة، فقد كان على في الجواب أن أبين الحكمة من وجوب سماع القرآن الكريم في لغته العربية التي نزل بها وهي أن الترجمة لمعانى القرآن الكريم، مهما تكن دقيقة في نقل المعانى، فإنها عاجزة عن نقل شيء من ظاهرة تلاؤم الأصوات التي يشعر بروعة جمالها من يستمع للقرآن الكريم وينصت له ولو لم يعرف لغته العربية.

لقد عرفت فيما بعد أن وقع جوابي على السائل وعلى الذين يشاركونه السؤال مثل وقع ترتيب القرآن الكريم في أثناء، إلقاء، المحاضرة وأعجب ما في الأمر أنى بعد عدة أيام تلقيت رسالة محاولة إلى من إدارة الجامعة ومبعوثاً من إدارة تلك الكنيسة يطلبون منى فيها - بعد إزجا، الشكر الجزيل لى على محاضرتى السابقة - أن ألقى عليهم محاضرة أخرى!

لقد كنت وقتها أهيب، نفسى للعودة الى المملكة العربية السعودية فاعتذرت ووعدت بتلبية الرغبة - بإذن الله تعالى - مستقبلاً.

لقد اعتذرت لأن الوقت لم يكن كافياً لإعداد محاضرة ألقياها باسم الإسلام على غير المسلمين، فقد استغرق منى إعداد المحاضرة السابقة التي ألقيتها في زها، نصف الساعة وخمس دقائق، وإعداد العدة لكل سؤال محتمل يلقيه شخص مسلم أو غير مسلم زها، ثلاثة شهور.

بقى على أن أقول إن الوقت الذي استغرقته الإجابة على الأسئلة في هذه الصفحات هو أقل من الوقت الذي استغرقه الإعداد لتلك المحاضرة وملاساتها. وورا، هذا التفاوت في الوقتين سبب، وهو أن قارة استراليا فقيرة في المصادر الإسلامية، وكانت الاتصالات - آنذاك - بين قارة استراليا وبين المملكة

العربية السعودية بطيئة إلى أبعد الدرجات. فقد كان كل من البلدين عالماً جديداً بالنسبة للآخر. إني - بسبب شح المصادر - كنت بعد صلاة الجمعة أطوف في المسجد الجامع وأسأل عن كتب بعينها، وكانت الإجابة دائماً في توبيخ بكتب غير تلك التي طلبت، أما بالنسبة لكتابة هذه الصفحات فإن الوضع مختلف، إن المكتبة الخاصة - بفضل الله تعالى - عامرة، فكيف بالمكتبات العامة وسواها.

وبعد هذا الحديث ذي الشجون - كما يقولون - لا أملك في نهاية هذه المقدمة إلا أن أشكر لرابطة العالم الإسلامي وعلى رأسها معالي الأمين العام الدكتور عبد الله عمر نصيف - حفظه الله - هذه الثقة الغالية التي أولتني إياها بأن أجيب على هذه الأسئلة التي تومس، إلى ما يشابهها من أسئلة عن الإسلام تدور في أذهان غير المسلمين، الباحثين عن الحق منهم وغير الباحثين. سائل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا إلى أقوم سبيل وأن يوفقنا إلى امتثال أمره جل وعلا في قوله عز من قائل: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ وأن يعفو عرّ وجلّ عما بدر منا من تقصير إنه جل وعلا نعم المولى ونعم النصير.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا. ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به. واعف عنا واغفر لنا وارحمنا. أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ (سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله ربّ العالمين).

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البينانية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

مكة المكرمة

صبيحة يوم الأحد ١٩/١١/١٤١١هـ
الموافق ١٩٩١/٦/٢م

سؤال رقم

١

**ما هي الظروف التي ولد فيها الإسلام ؟
أو ما هي أسباب ظهور الإسلام ؟**

الإسلام بمعنييه العام والخاص

إن أول ما نود أن نقرره هو أن الله سبحانه وتعالى إنما بعث كل رسله، ابتداءً بنوح عليه السلام، وانتهاءً بمحمد بن عبد الله ﷺ، بالإسلام أو بدين الإسلام. والإسلام معناه الاستسلام لله تعالى بالخضوع، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك. جاء خطاباً للمصطفى ﷺ في سورة الانبياء^(١) قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وقد بعث الله تعالى محمد بن عبد الله ﷺ بالصورة الأخيرة من دين الإسلام لله رب العالمين. وهذه الصورة الأخيرة من دين الإسلام ناسخة لكل صورة أخرى سابقة، ثم إن هذه الصورة الأخيرة من دين الإسلام التي بعث الله تعالى بها محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين وأشرف المرسلين، وجعل معجزتها فريدة بين معجزات سائر النبيين لأنها وحدها هي التي تجمع بين المنهج والمعجزة معاً، هذه الصورة الأخيرة من دين الإسلام، استأثرت دون سواها من الصور بلفظ الإسلام. وهكذا يتبين أن لفظ الإسلام له معنيان اثنان، عام يشمل كل دين بعث الله تعالى به رسلاً من رسله ونبياً من أنبيائه، وخاص يتعلق بالصورة الأخيرة من هذا الدين التي بعث الله تعالى بها محمد بن عبد الله ﷺ. واللطيف في الأمر أن استعمال لفظ الإسلام بمعناه الخاص أكثر من استعماله بمعناه العام.

وإن هذا القول الموجز بحاجة إلى شيء من البسط.

كان آدم وحواء عليهما السلام في الجنة. وشاء الله تعالى أن يهبط هو وزوجه إلى الأرض. قال تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾^(٢) وقد تكون من ذرية آدم وحواء عليهما السلام أمة واحدة تعبد الله تعالى وحده لا شريك له، ثم اختلفت هذه الأمة وتفرقت بها السبل عن سبيل الحق جلا وعلا، فظهرت الحاجة إلى بعث نبي كى يعيد الأمة إلى صراط العزيز الحميد بإذن الله تعالى. وتظل تعاليم ذلك النبي الكريم قائمة بدورها لفترة ما، ثم يأخذ تأثيرها في تلك الأمة يقل بمرور الوقت حتى ينعدم أو يكاد ينعدم، فتجدد الحاجة لبعث نبي وإرسال رسول وإنزال كتاب^(٣) ولما بلغت الإنسانية مرحلة الرشد التي تلائمها الرسالة الخاتمة، بعث الله تعالى

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥.

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٥.

(٣) سار المسيحيون - مثلاً - قرابة ثلاثمائة سنة على خطرات المسيح ثم بدلوها. انظر هداية الحيارى لابن القيم ١٤٢

محمد بن عبد الله ﷺ بها، والتي يناسبها الكتاب الخاتم، فأُنزل الله تعالى القرآن الكريم معجزة هذا الدين الكبرى الخالدة الى يوم الدين. قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ. وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

ومعنى القول: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ كان الناس أمةً واحدةً موحدةً مسلمةً لله رب العالمين فاختلَفوا فبعث الله تعالى النبيين. جاء في سورة يونس قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾^(٢).

وكان نوحٌ عليه السلام أول رسل الله تعالى، وكان محمد بن عبد الله ﷺ آخر رسل الله تعالى. وهذان الرسولان الكرّيمان من أولى العزم من الرسل الخمسة. وهم مرتبون زمنياً على النحو التالي: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين. وإلى هؤلاء الخمسة أشار قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ. كَثُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ. اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٣) ولما كان الحديث عن دين الإسلام، وقد بعث الله تعالى به نوحاً عليه السلام أولاً، فقد جاء ذكر نوح عليه السلام من أجل ذلك ابتداءً، ثم تحول الحديث الى ذكر محمد بن عبد الله ﷺ، باعتباره زعيم أولى العزم من الرسل، ثم عاد الحديث الى ذكر البقية منهم مع مراعاة ترتيبهم الزمني. وحينما يكون الحديث في القرآن الكريم عن النبيين ثم عن أولى العزم منهم يبدأ الحديث بخاتمهم وأشرفهم محمد بن عبد الله ﷺ وذلك في قوله تعالى من سورة الاحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمَنْكَرَ مِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٤) ويلاحظ ان الآية الكريمة بعد الإشارة الى خاتم النبيين تراعى ترتيب بقية أولى العزم من الرسل زمنياً عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه.

(١) سورة البقرة الآية ٢١٣.

(٢) سورة يونس الآية ١٩.

(٣) سورة الشورى الآية ١٣.

(٤) سورة الاحزاب الآية ٧.

الأدلة على الإسلام بمعنييه العام والخاص

ما أكثر الأدلة من القرآن الكريم على الإسلام، بمعنييه الاثنين العام والخاص .

ومن الأدلة على استعمال لفظ الإسلام بالمعنى العام سؤال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الله تعالى، وهما ينيان الكعبة المشرفة، أن يجعلهما مسلمين له جل وعلا، وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة لله رب العالمين . قال تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾^(١) وإبراهيم عليه السلام يمثل أمر ربه جل وعلا له بأن يُسلم وجهه لله رب العالمين . قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهٍ نَفْسَهُ، وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لربِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) إن الذي يُعرض عن دين إبراهيم عليه السلام هو الذي فعل بنفسه من السَّفه ما صار به سفهياً . وإبراهيم عليه السلام يوصى بكلمة الإسلام بنيه، كما يوصى بها يعقوب عليه السلام بنوه الذين يعلنون على رؤوس الاشهاد، حينما حضرت يعقوب عليه السلام مقدمات الموت وأسبابه وسأل بنيه عن دينهم، يعلنون بأن دينهم الإسلام . قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بَنِيَّ إِنِ اللَّهُ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ . أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

وإذا كان آدم عليه السلام أبا البشر وكان نوح عليه السلام أول الرسل والأب الثاني للبشر فإن إبراهيم عليه السلام هو أبو الانبياء، لأن كل الانبياء بعده من ذريته عليه الصلاة والسلام . إن لإبراهيم عليه السلام من الاولاد إسماعيل وإسحاق . وإن كل أنبياء بنى إسرائيل من ذرية اسحاق عليه السلام عن طريق يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام، وإن موسى عليه السلام كبير أنبياء بنى إسرائيل، وإن عيسى عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل . وليعقوب عليه السلام اسم آخر هو إسرائيل، وله

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧ و ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٠ و ١٣١ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٢ و ١٣٣ .

من الأنبياء اثنا عشر ولداً ذكراً أصبح كل واحد منهم أباً لقبيلة أو سبط. إن السبط في بنى إسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب بنى إسماعيل عليه السلام^(١).

وإن محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين، وأشرف المرسلين، هو النبي الوحيد من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

جاء بشأن إسلام أنبياء بنى إسرائيل من بعد موسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء. فلا تخشوا الناس واخشوا ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً. ومن لم يحكم بها أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾^(٢). إن التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام فيها هدى من الضلالة ونور في مجال الاحكام وغير الاحكام يحكم بها النبيون من بنى إسرائيل الذين أسلموا لله رب العالمين، يحكمون بها للذين نشأوا في اليهودية وعليهم^(٣) ويحكم بها الربانيون العلماء الحكماء الحكماء الفقهاء العباد، ويحكم بها الأخبار العلماء.

وإن الذين دخلوا في دين الإسلام من أتباع موسى عليه السلام كعبد الله بن سلام^(٤) وأتباع عيسى عليه السلام كالسبعين قسيساً الذين بعثهم النجاشي إلى النبي ﷺ في المدينة المنورة^(٥) قد نزل فيهم قول الحق جل وعلا: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يئلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين. أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون. وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾^(٦) إن هؤلاء الذين دخلوا في دين الإسلام الذي بعث الله تعالى به محمد ابن عبد الله ﷺ إذا يئلى عليهم القرآن الكريم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا جل وعلا وإنا كنا من قبل سماع القرآن الكريم والايان به مسلمين لله رب العالمين موحدين.

(١) تفسير القرطبي ٥٢٥.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤.

(٣) انظر تفسير ابن عطية ٤/٤٥٥.

(٤) الجلالين.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/٤٠٥ دار المعرفة الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ.

(٦) سورة القصص الآيات من ٥٢ إلى ٥٥.

ويبعث الله تعالى أخيراً خاتمة الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ بالحنيفية السمحة، دين الإسلام لله رب العالمين دين أبينا إبراهيم عليه السلام، واصطفاه تعالى بالصورة الكاملة من الحنيفية السمحة.

والله تعالى جعل من دين الرسل أن أولهم يبشر بآخريهم ويؤمن به، وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ. قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي^(١)﴾ قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين^(٢) قال ابن عباس: لم يبعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمدٌ وهو حيٌّ ليؤمنن به ولننصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمدٌ وهم أحياء ليؤمنن به ولننصرنه^(٣). وقد بشر كلٌّ من موسى عليه السلام في التوراة وعيسى عليه السلام في الانجيل بمحمد بن عبد الله ﷺ. قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ. فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ^(٤) وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٥)﴾.

ولما كان الله تعالى قد بعث محمد بن عبد الله ﷺ بالصورة الكاملة من الحنيفية السمحة دين أبينا إبراهيم عليه السلام فقد توالفت الاشارات في القرآن الكريم الى هذه الحنيفية السمحة والاشادة بها والحث على اتباعها. جاء في سورة النحل أمر المصطفى ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام حنيفاً ومائلاً قصداً عن كل شرك، ومنحرفاً عنه إلى توحيد الله تعالى وإفراده جلٍ وعلا بالعبادة قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَاتَّبَانَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

(١) إصري بمعنى عهدي . تفسير ابن كثير ٣٧٨ / ١ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٨١ .

(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية ٥٤ وهداية الحيارى لابن القيم ٥١ .

(٤) عزروه بمعنى وقروه .

(٥) سورة الأعراف الآية ١٥٦ و ١٥٧ .

وما كان من المشركين»^(١) وهذه الآية الكريمة من سورة الأنعام تصف بالصراط المستقيم دين إبراهيم عليه السلام الذى هدى الله تعالى محمد بن عبد الله ﷺ إليه . قال تعالى : ﴿ قل إننى هدانى ربي إلى صراطٍ مستقيم ديناً قتيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾^(٢) ومعنى قتيماً : مستقيماً^(٣) وإذا كانت سورة الحج تتحدث عن الحج على عهد إبراهيم عليه السلام ، وكنا نحن المسلمين قد أمرنا بأن نأخذ مناسكنا فى الحج عن محمد بن عبد الله ﷺ الذى حج كما حج إبراهيم عليه السلام على النحو الذى بينته سورة الحج وغيرها من الوحي قرآنأ كريماً وسنة نبوية مطهرة ، فإن سورة الحج المدنية تحت المسلمين فى آخرها على اتباع ملة إبراهيم عليه السلام وتشير إلى فضل الله تعالى على أمة محمد بن عبد الله ﷺ بأن ساهم جل وعلا المسلمين من قبل نزول القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده . هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم . هو ساكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾^(٤) .

وإن رسالة الإسلام الخاتمة ، التى يعث الله بها محمد بن عبد الله ﷺ ، تنفرد بين رسالات كل الانبياء السابقين بأنها عالمية منذ فجرها . ثبت فى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله أنه قال : قال رسول الله ﷺ : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى . نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر . وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأثاب رجل من امتى أدركته الصلاة فليصل . وأحللت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى . وأعطيت الشفاعة . وكان النبى يعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة^(٥) قال تعالى : ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾^(٦) وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾^(٧) وقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى

(١) سورة النحل الآيات من ١٢٠ إلى ١٢٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٦١ .

(٣) تفسير الطبري ٨ / ٨٢ .

(٤) سورة الحج الآية ٧٨ .

(٥) تفسير ابن كثير ٢ / ٦٦ دار المعرفة .

(٦) سورة الفرقان الآية ١ .

(٧) سورة سبأ الآية ٢٨ .

ويعميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون^(١).

وإن دين الإسلام الذي بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ هو الدين الذي لا يقبل الله تعالى من أيّ عبد من عباده ديناً سواه لأنه الدين الناسخ لسائر الأديان، السابوية منها ومن باب الأولى غير السابوية، وهو الدين الذي أكمله الله تعالى ورضيه لعباده وأتم به النعمة عليهم، وهو الدين الذي تكفل الله تعالى بإظهاره على الدين كله. وإليك هذه الآيات الكريبات في هذه المعاني: قال تعالى^(٢): ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وقال تعالى^(٣): ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وقال تعالى^(٤): ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وقال تعالى^(٥): ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وقال تعالى^(٦): ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ وقال تعالى^(٧): ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

جعل الله لكل أمة شريعةً ومنهاجا.

إن الله سبحانه وتعالى الذي له الحكمة البالغة والحجة الدامغة لو شاء لجعل الناس جميعاً أمة واحدة أتباع نبي واحد وكتاب سواي واحد ولكنه جل وعلا لم يشأ ذلك. وإلى ذلك الاختلاف بين الأمم والحكمة منه أشار قوله تعالى من سورة هود^(٨): ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ. وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ. وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأُمَمٍ لَاهُتَ جَهَنَّمَ مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. وأيضاً أشار إلى ذلك قوله تعالى من سورة المائدة^(٩): ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٨.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩.

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٤) سورة آل عمران الآية ٦٤.

(٥) سورة المائدة الآية ٣.

(٦) سورة التوبة الآية ٣٣ وسورة الصف الآية ٩.

(٧) سورة الفتح الآية ٢٨.

(٨) سورة هود الآية ١١٨، ١١٩.

(٩) سورة المائدة الآية ٤٨.

من الكتاب ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق . لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا . ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليلوكم فيها آتاكم فاستبقوا الخيرات . إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴿١﴾ . إن الآية الكريمة تحاطب المصطفى ﷺ وتقول له : إنا أنزلنا إليك الكتاب العزيز والقرآن الكريم بالحق وبالصدق الذي لا ريب فيه انه من عند الله ^(١) مصداقاً لما بين يديه من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ ^(٢) ومهيماً على الكتب السابقة شهيداً على الكتب قبله أنها حق من عند الله أميناً عليها حافظاً لها ^(٣) فاحكم أيها الرسول الكريم والنبي العظيم بينهم بما أنزل الله تعالى إليك ولا تتبع أهواءهم عادلاً ومُعزضاً ومنصرفاً عما جاءك من الحق من ربك . لكل أمة منكم جعلنا شريعةً وطريقاً إلى الحق تشرع فيه ومنهاجاً وسبيلاً بيناً واضحاً تسلكه في سبيل الوصول إلى الغاية من شروعه في أول طريق الحق وسلوكها في نهج الصراط المستقيم . أما هذه الغاية فهي توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة . إن الله سبحانه وتعالى لو شاء لجعلكم أمةً واحدةً أتباع رسولٍ كريم واحد وكتابٍ عظيم واحد وعلى شريعةٍ واحدة ، ولكنه جل وعلا جعلكم أمماً ليختبركم فيما آتاكم ، وليعلم جل وعلا علم ظهورٍ من يطيعه ومن يعصيه . إن عليكم أن تستبقوا الخيرات بفعل الأوامر واجتناب النواهي . إلى الله تعالى مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين ويجزي كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وهكذا يتبين أن الغاية من إرسال الرسل وبعث النبيين واحدة هي توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة . قال تعالى ^(٤) : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ أما سبل الرسل من أجل الوصول إلى هذه الغاية فمتعددة ومختلفة وهي التي عبر عنها بالقول : ﴿لكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا﴾ والشريعة والشريعة في المحسوسات الطريق الموصل الى الماء ، والماء ذاته الذي يقصده الشارع والفاصد ، شريطة أن يكون الماء دائماً غير منقطع ، غزيراً قريب التناول عذباً نعيماً . إن هذه المعاني في المحسوسات اتسمت بها الشريعة والشريعة في المعنويات . وإذا

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٦٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٦٥ .

(٣) تفسير الطبري ٦ / ١٧٢ .

(٤) سورة الانبياء الآية ٢٥ .

كانت لفظة شرعة قد جاءت هنا فإن لفظة شرعية جاءت في سورة الجاثية. قال تعالى^(١): ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ والمنهاج وكذلك المنهج في المحسوسات الطريق الواضح البين المستقيم الذى لا عوج فيه^(٢) إن هذه المعانى في المحسوسات اتسم بها المنهج والمنهاج في المعنويات.

وإن شرائع النبيين المتعددة ومناهجهم المختلفة من أجل الوصول إلى غاية واحدة هى توحيد الله تعالى قد قررها الحديث الشريف الذى ثبت في البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: نحن معاشر الانبياء إخوة لعلات^(٣) ديننا واحد. يعنى بذلك التوحيد الذى بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله^(٤) ويستمر الحديث الشريف في القول: وإن أولى الناس بابن مريم لأنا، إنه ليس بينى وبينه نبى^(٥).

وهكذا يتبين أن شرائع النبيين متعددة أما دينهم فواحد وهو دين الاسلام ابتداءً بنوح عليه السلام أول رسل الله تعالى الذى جرى على لسانه خطاباً لقومه القول^(٦): ﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ وانتهاءً بمحمد بن عبد الله ﷺ، خاتم النبيين وأشرف المرسلين الذى أمره الله تعالى في سورة الانعام بقوله عز من قائل^(٧): ﴿قل إننى هدانى ربى إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيمياً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾.

الرسالة الخاتمة تلانم الرأمة المسلمة:

ونحن من جانبنا لو تمثلنا الإنسانية منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام وأمره هو وزوجه حواء عليها السلام بالهبوط إلى الأرض إلى أن بعث الله تعالى خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، لو تمثلنا الإنسانية في هيئة شخص يمر خلال سنى حياته بمراحل من العمر مختلفة حتى يصل إلى مرحلة الرشد والأشد، لوقفنا عند ثلاث مراحل:

(١) سورة الجاثية الآية ١٨ .

(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس: "نهیج" ٣٦/٥ ومفردات الراغب الأصفهاني: "نهیج" ٥٠٦ ولسان العرب: "نهیج".

(٣) الأخوة لعلات بفتح العين هم الإخوة من أبٍ واحد وأمهات شتى.

(٤) تفسير ابن كثير ٦٦/٢ .

(٥) الرسالة التدمرية لابن تيمية ٥٣ .

(٦) سورة يونس الآية ٧٢ .

(٧) سورة الانعام الآيات من ١٦١ - ١٦٣ .

في المرحلة الأولى نستطيع أن نتمثل الإنسانية ابتداءً في هيئة الطفل الذي يجبر في مهده، والذي يحول الضعف بينه وبين القيام وجهده، والعدو وشده. ويصح أن نذهب إلى أن هذه المرحلة من عمر الإنسانية، وهي مرحلة الطفولة، يلائمها صوامر الاوامر وقوانع الزواج. ويصح أن نذهب إلى أن مرحلة الطفولة هذه يمثل بنو إسرائيل أتباع موسى عليه السلام قمتها ونهايتها. إن بنى إسرائيل هم الذين يجيء عنهم في القرآن الكريم قوله عز من قائل في سورة الأعراف^(١): ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ والمعنى: واذكر يا محمد إذ اقتلعتا الجبل فوق بنى إسرائيل^(٢) وهو جبل الطور^(٣) كأنه ظلة، وهي ما أظلك من سقيفة أو سحاب^(٤) وأيقنوا أن الجبل ساقط عليهم بوعده الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا^(٥) وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بجد واجتهاد، واذكروا ما في الكتاب السماوى بالعمل به لعلكم تتقون النار التى وقودها الناس والحجارة، بمعنى الاصنام، والتى أعدها الله تعالى للكافرين. إن بنى إسرائيل حينما أمرهم موسى بالعمل بالتوراة قالوا سمعنا وعصينا، والمعنى: سمعنا قولك وعصينا أمرك^(٦) وحينما أيقنوا أن جبل الطور واقع عليهم قالوا سمعنا وأطعنا. جاء في سورة البقرة^(٧) قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا. قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم. قل بنسأ يا أمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾. عن ابن عباس: كانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا سمعنا وأطعنا. وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا سمعنا وعصينا^(٨) وقيل إن كل رجل من بنى إسرائيل خر ساجداً على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليُمنى إلى الجبل فرَقاً من أن يسقط عليه^(٩).

والمعروف أن بنى إسرائيل تحولوا بدين موسى عليه السلام وبتعاليمه الموحاة إليه

(١) سورة الأعراف الآية ١٧١ .

(٢) تفسير الطبرى ٧٤/٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢٦٠/٢ .

(٤) انظر البحر المحيط ٤١٩/٤ ، ٤٢٠ .

(٥) انظر الجلائن .

(٦) الكشف ٢٢٧/١ .

(٧) سورة البقرة الآية ٩٣ .

(٨) البحر المحيط ٣٠٨/١ .

(٩) تفسير ابن كثير ٢٦١/٢ .

من رب العالمين إلى مادية جشعة فكانوا يأكلون السحت من رباً ورشاً وما إليهما حتى قال الحق جل وعلا عنهم في محكم التنزيل^(١): «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة». وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار. وإن منها لما يَشَقُّق فيخرج منه الماء. وإن منها لما بهبط من خشية الله. وما الله بغافل عما تعملون».

وتجاوزت الإنسانية مرحلة المهد، ونما عودها واشتد، وكأنها بلغت من العمر مرحلة الغلام الذي بلغ من والده مرحلة السعي والشد، والذي يناسبه الجانب الناعم من الحياة، ويوافقه الشطر الرقيق من التعاليم، وكأن هذه المرحلة تتمثل في إرسال الله تعالى عيسى ابن مريم عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل. وفي مقابل انحراف بني إسرائيل بتعاليم موسى عليه السلام إلى مادية خالصة، ودينوية صرفة، كان عيسى عليه السلام متخصصاً في الروحانيات. ومازال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريباً من ثلاثمائة سنة، ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهوىون^(٢).

ولما كان المسيح عليه السلام متخصصاً في الروحانيات وكانت الحياة روحاً ومادة فإن أتباع المسيح عليه السلام ما لبثوا أن خرجوا في مجموعهم على تلك الروحانيات وانهمكوا في الماديات، شأنهم في ذلك شأن اليهود وسائر الناس آنذاك. أما المستمسكون بروحانيات السيد المسيح عليه السلام فإنهم تحولوا بها إلى رهبانية خالصة لا شأن لها بأمور الحياة. وهكذا يتبين أن الخارجين على تعاليم السيد المسيح عليه السلام قد تحولوا بها إلى مادية صارخة، وأن المستمسكين بتعاليمه عليه السلام وهم قلة، قد تحولوا بتلك التعاليم من كونها روحانية خالصة إلى رهبانية مبتدعة وسلبية يائسة. وعموماً فإن الآخرين خيرٌ من الأولين يقول ابن القيم^(٣) في هذا الشأن: «وقد نظر الله إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب».

ثم بلغت الانسانية مرحلة الرشد التي تناسبها الرسالة السأوية السأوية الخاتمة، والرسول النبی الخاتم، والكتاب السأوی الخاتم، والكلمة السأوية الأخيرة إلى البشرية، فكان دين الإسلام الذي بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ. لقد نسخ

(١) سورة البقرة الآية ٧٤.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لأن القيم ١٤٢.

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٩ وانظر ماذا خسر العالم بالتحطاط المسلمين ٢٧ وانظر الآية ٢٧ من سورة الحديد. وهذا الذي ذكره ابن القيم جزء من حديث. انظر صحيح مسلم بشرح الإمام التوتوي ١٧/ ١٩٧.

الدين الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ كل دين سواى ومن باب الاولى غير السواى، كما هيمن كتابه السواى الذى أوحاه الله تعالى إليه على كل كتاب سواى سابق، فهو الحافظ لتلك الكتب، الامين عليها، الشهيد على أنها موحى بها من الله تعالى. ننظر إلى لفظة الرشد التى جاءت دليلاً على دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى مرحلة الرشد التى بلغت الإنسانية باعتبارها قادرة على أن تبين الرشد من الغى، وتميز الايمان من الكفر^(١) وذلك فى قوله تعالى^(٢): ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ. فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ لَهَا. وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

حال الإنسانية قبيل البعثة المحمدية:

ونحن إذا نظرنا إلى العالم فى القرنين السادس والسابع الميلاديين تبيّن أن هذا العالم قد انحط إلى الدرك الأسفل بلا خلاف^(٤) أما اليهود فبسبب الاضطهاد الذى حل بهم فى كل مكان، باستثناء جزيرة العرب، قد ورثوا أسوأ الخصال وتأصلت فيهم أردأ الخلال. وقد وصفهم القرآن الكريم وصفاً دقيقاً عميقاً يصور ما كانوا عليه فى القرنين السادس والسابع من تدهور خلقى، وانحطاط نفسى، وفساد اجتماعى^(٥) وقد اقتبس اليهود كثيراً من عقائد الامم التى جاوروها أو وقعوا تحت سيطرتها، وكثيراً من عاداتها وتقاليدها الوثنية الجاهلية^(٦) قال تعالى^(٧): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ بْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ إن اليهود والنصارى بسبب هذا القول يشابهون الذين كفروا من قبل من الآباء المشركين الذين قالوا بهذا القول ومن سواهم.

أما المسيحيون فإن كل فرقة من فرق النصارى تقول للآخرى إنها ليست على شئ^(٨) قال تعالى^(٩): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْآخِبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُوا أَمْوَالًا

(١) الكشف ١/ ٢٩٣.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

(٣) انظر هنا رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ١٦٧ فما بعدها، الفصل الخاص بترقى الاديان بترقى الانسان وإيجابها بالاسلام. القاهرة الطبعة السابعة عشرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.

(٤) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (٢٩).

(٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٣٥.

(٦) السيرة النبوية لأبى الحسن الندوى ١.

(٧) سورة التوبة الآية ٣٠.

(٨) ماذا خسر العالم ٢٩.

(٩) سورة التوبة الآية ٣٤.

الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴿ وإذا كان فريقٌ من رجال الدين قد انسحب من ميدان الحياة فإن من بقى منهم في تيار الحياة اصططح مع الظالمين وتقاسم معهم الغنائم والمظالم ^(١) وقال تعالى ^(٢) : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ وقال تعالى ^(٣) : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة . وما من إله إلا إله واحد . وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذابٌ أليم . أفلا يتوبون إلى الله يستغفرونه والله غفورٌ رحيم . ما المسيح ابن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقةٌ كانا يأكلان الطعام . انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أأنى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم . قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ .

فإذا تحولنا إلى أوروبا تبيننا أنه لم تكن في أوروبا الغربية في ذلك العهد أمارات الوحدة والنظام ^(٤) .

فإذا اتجهنا إلى فارس تبيننا أنها كانت آنذاك الحقل القديم لنشاط كبار الهدامين الذين عرفهم العالم حتى إن يزدجرد الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بنته ثم قتلها ، وإن بهرام جوبين الذي تملك في القرن السادس كان متزوجاً بأخته ^(٥) وكان الايرانيون يتزوجون من غير استثناء ^(٦) وكانوا مجوساً عرفوا من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية وأعظمها النار التي عكفوا على عبادتها أخيراً . وقد انقرضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار وتقديس الشمس ^(٧) .

فإذا اتجهنا الى الهند تبيننا أن الوثنية قد بلغت أوجها في القرن السادس وبلغ عدد الاصنام ثلاثمائة وثلاثين مليون صنم ^(٨) وعن الشهوة الجنسية ونظام الطبقات الجائر في الهند حدث ولا حرج ^(٩) .

(١) انظر ماذا خسر العالم ٢٧ .

(٢) سورة المائدة الآية ١٧ و ٧٢ .

(٣) سورة المائدة الآيات ٧٣ - ٧٧ .

(٤) ماذا خسر العالم ٣٤ .

(٥) ماذا خسر العالم ٣٧ .

(٦) ماذا خسر العالم ٣٨ .

(٧) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٤ .

(٨) ماذا خسر العالم ٤٦ والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٦ .

(٩) انظر ماذا خسر العالم ٤٦ - ٥٠ .

فإذا اتجهنا إلى الصين التي كانت البوذية فيها وفي الهند كذلك تبين أن الديانة البوذية قد فافت الديانة الهندكية في الإغراق في الوثنية .

فإذا تحولنا إلى اليهودية والنصرانية في بلاد العرب تبين أنها كانت نسختين من اليهودية في الشام والنصرانية في بلاد الروم والشام^(١) .

فإذا تحولنا إلى العرب في جزيرة العرب تبين أنهم غارقون حتى آذانهم في الوثنية وفي عبادة الاصنام ويكفى أن يقال إنه كان في جوف الكعبة ، البيت الذي بناه إبراهيم عليه السلام لعبادة الله وحده وفي فنائها ثلاثمائة وستون صنماً^(٢) عن عبد الله رضى الله عنه قال : دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصْب فجعل يطعنهما بعودٍ في يده ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يُبْدِىء الباطل وما يُعيد^(٣) .

وبالجملة لم تكن على ظهر الأرض أمةٌ صالحة المزاج ، ولا مجتمع قائم على أساس الاخلاق والنضيلة ، ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرحمة ، ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة ، ولا دين صحيح مأثور عن الانبياء^(٤) .

جاء في القرآن الكريم خطاباً للمصطفى ﷺ قول الحق جل وعلا^(٥) : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .

ولعل فيما سبق تبيناً لأسباب ظهور الاسلام بمعناه الخاص .

(١) ماذا خسر العالم ٥٤ .

(٢) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوى ٨ .

(٣) صحيح البخارى ١٨٨/٥ .

(٤) ماذا خسر العالم ٦٠ .

(٥) سورة الانبياء الآية ١٠٧ .

سؤال رقم

٢

اذكر ثلاث نقاط تميّز
الإسلام عن النصرانية

نود أن نشر بإيجاز أولاً إلى النقاط الثلاث المطلوبة التي تميز الاسلام عن النصرانية، إنها .

١- توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة .

٢- كل رسل الله تعالى عبيدٌ له جل وعلا ابتداءً بنوح عليه السلام، وانتهاءً بمحمد بن عبد الله ﷺ، ومروراً بعيسى ابن مريم عليه السلام .

٣- أكرم الناس عند الله تعالى أتقاهم له جل وعلا .

وبعد هذه الإشارة الموجزة إلى النقاط الثلاث نتبعها بشيء من بسط القول :

توحيد الله تعالى:

إن أول ما يميز الإسلام وإن أهم ما يميز الإسلام عن غيره من الديانات النصرانية وغيرها توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة التي أكدت هذا المعنى . بل إن القرآن الكريم إذا كان يدور حول ثلاثة محاور، توحيد وقصص وأحكام^(١) وكان محور التوحيد هو أكبر هذه المحاور الثلاثة فإن كلاً من المحورين الآخرين خادماً لقضية التوحيد وبخاصة محور القصص . وبسبب كثرة الآيات القرآنية التي تقرر وحدانية الله تعالى وتؤكدنا نكتفي ببعض النماذج .

إن من أقرب النماذج وأوضحها سورة الاخلاص بمعنى التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة . قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولك يكن له كفواً أحد ﴾ .

إن الله سبحانه وتعالى يأمر المصطفى ﷺ الذي سئل عن ربه جل وعلا أن يقول : هو الله تعالى الواحد الاحد الفرد الصمد المقصود في كل الحوائج على الدوام لم يلد ولم يولد ولم يكن له أحد مكافئاً ولا مماثلاً .

وجاء في سورة آل عمران^(٢) في قضية التوحيد قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله

(١) انظر هنا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ٩ .

(٢) سورة آل عمران الآيات من ١٨ - ٢٠ .

الاسلام . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن . وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصيرٌ بالعباد ﴿١﴾ .

إن الله سبحانه وتعالى يشهد ، وكفى بالله شهيداً ، أنه لا إله إلا هو ولا معبود بحق إلا هو جل وعلا وحده لا شريك له ، وكذلك يشهد الملائكة المقربون الذين لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ويشهد أولو العلم الصحيح النافع الراسخون فيه . والله سبحانه وتعالى هو القائم بالعدل القائل بالحق الشاهد بالقسط الذى يلى العدل بين خلقه^(١) لا إله إلا هو العزيز فى ملكه الحكيم فى صنعته . إن الدين المقتل عند الله تعالى هو الإسلام ، بمعنى الاستسلام لله تعالى بالخضوع ، والانقياد له جل وعلا بالطاعة ، والخلوص من الشرك . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من يهود ونصارى إلا من بعد ما جاءهم العلم الصحيح فى قضية التوحيد ، وما اختلفوا لأن ثمة سبباً موجباً للاختلاف ، إنما اختلفوا بسبب ظلم بعضهم بعضاً ، وبغى بعضهم على بعض . إن الله سبحانه وتعالى سريع المحاسبة لمن يكفر بآياته جل وعلا البينات . فإن حاجك أهل الكتاب وسواهم وخاصموك أيها الرسول الكريم والنبي العظيم فى القول : ﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾ فقل لهم أسلمت وجهي لله تعالى وأسلم من اتبعني بتوحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة والخلوص من الشرك . وقل أيها الرسول الكريم والنبي العظيم لأهل الكتاب من يهود ونصارى وللاميين الذين لم يصطفهم الله تعالى بكتاب سواى : أسلموا لله رب العالمين . فإن أسلموا بأن شهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد اهتدوا إلى الصراط المستقيم ، وإن تولوا وانصرفوا فإنما عليك أيها الرسول الكريم البلاغ وحده . والله سبحانه وتعالى هو البصير بالعباد . عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال : والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحدٌ من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار . رواه مسلم^(٢) .

وإن العلم بأن الله تعالى واحدٌ أحد فردٌ صمد يسبق العمل . جاء فى سورة محمد^(٣) عليه الصلاة والسلام قوله تعالى : ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك

(١) انظر تفسير الطبري ١٤٠ / ٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٥٤ .

(٣) سورة محمد الآية ١٩ .

وللمؤمنين والمؤمنات . والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴿١﴾ عن سفیان بن عیینة أنه سئل عن فضل العلم فقال : ألم تسمع قوله حين بدأ به : فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ، فأمر بالعمل بعد العلم ^(١) والامام البخاری فی کتاب العلم من صحیحہ ^(٢) الذى هو أصح الكتب بعد القرآن الكريم عقد باباً ^(٣) عنوانه : باب : العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى : فاعلم أنه لا إله إلا الله . فبدأ بالعمل .

والمعروف أن أول أركان الاسلام شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وجهان لركن واحد من أركان الاسلام الخمسة وهى أول أركان الاسلام وأهمها .

والمعروف كذلك أن الاشرار مع الله تعالى سواء هو الذنب الوحيد الذى لا يغفره الله تعالى . قال عز من قائل ^(٤) : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ . وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ وقال تعالى ^(٥) : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ . وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ وقال تعالى ^(٦) : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ إن كل الاعمال الصالحة باطلة بسبب الشرك . والهباء عبارة عما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار . وإذا كان الهباء المنتظم لا قيمة له فكيف به وقد عبث الهواء ؟ لاشك أنه أقل قيمة . وهذا هو معنى القول : ﴿منثورا﴾ فى الآية الكريمة ^(٧) .

كل رسل الله تعالى عبيدٌ له جلَّ وعلا:

إن كل رسل الله تعالى عبيدٌ لله تعالى وعبادٌ له ، لأنهم المصطفون الاخيار . وقد قال تعالى ^(٨) : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ وقال تعالى ^(٩) : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا

(١) تفسير القرطبي ٦٠٦٢ .

(٢) صحيح البخارى ٢٢ / ١ وانظر دراستنا للآية الكريمة فى الدراسة بعنوان : تأملات فى سورة محمد ﷺ ١٥٦ .

(٣) صحيح البخارى ٢٦ / ١ .

(٤) سورة النساء الآية ٤٨ .

(٥) سورة النساء الآية ١١٦ .

(٦) سورة الفرقان الآية ٢٣ .

(٧) تأملات فى سورة الفرقان ، للمؤلف ، ٨٣ .

(٨) سورة الانعام الآية ١٢٤ .

(٩) سورة آل عمران الآية ٧٩ .

كنتم تعلمون الكتاب وبها كنتم تدرسون ﴿١﴾ . إن الآية الكريمة تبين أنه لا ينبغي ولا يصح لبشر اصطفاه الله تعالى بالكتاب السماوى الموحى به إليه ، وخصه جل وعلا بالفقه في دينه وفصل الخطاب ، وأنعم عليه بنعمة النبوة التى هى محض فضل من الله تعالى ثم يقول بعد ذلك للناس اعبدونى من دون الله تعالى ، ولكن يقول لهم كونوا علماء حكماء علماء فقهاء عاملين بما علمكم الله تعالى معلمين الناس النافع من العلم مرشدينهم إلى الخير من العمل ، لأن الله سبحانه وتعالى اصطفى هؤلاء الأتباع بكونهم يعلمون الناس معانى الكتاب السماوى وبكونهم طلاب علم يدرسونهم ويتأملونه ويتفقهون فيه .

ومن ألطف ما يشار إليه في هذه المسألة أن محمد بن عبد الله ﷺ ينص القرآن الكريم على أنه عبد الله في أشرف الاحوال وأعظم المناسبات . إن النبي ﷺ حينما قام يعبد الله تعالى ويصلى ببطن نخلة ، وإد بين مكة والطائف ، وركب بعض الجن بعضاً ازدحاماً حرصاً على سماع القرآن الكريم حتى صاروا كأنهم اللبد جمع لبد بكسر اللام وثبده يضم اللام وهى الشعر المجتمع بين كتفى الاسد ، إن النبي ﷺ حينما قام يعبد الله تعالى أشار القرآن الكريم إليه بأنه عبد الله . قال تعالى^(١) : ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾ وقد أشار القرآن الكريم إلى المصطفى ﷺ بأنه عبد الله في أولى آيات سورة الإسراء التى تحدثت عن الإسراء به ﷺ ليلاً من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الاقصى في القدس الشريف . قال تعالى : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ كما أشار القرآن الكريم إلى المصطفى ﷺ بأنه عبد الله في أولى آيات سورة الفرقان وذلك في معرض المن من الله تعالى عليه ﷺ بإنزال القرآن الكريم عليه . قال تعالى : ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ .

وإن أول ما جرى على لسان عيسى عليه السلام ، الذى تكلم في المهدي ، أنه عبد الله . قال تعالى^(٢) : ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً . قالت أنى يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشرٌ ولم أك بغياً . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله

(١) سورة الجن الآية ١٩ .

(٢) سورة مريم الآيات من ١٦ - ٤٠ .

آية للناس ورحمة منا . وكان أمراً مقضياً . فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً . فجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مثٌ قبل هذا وكنت نسياً منسياً . فناداها مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا . وهزى إليك بجذع النخلة تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا . فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا . فَأُتَتْ بِهَ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا . يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا . فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ . قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا . قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا . وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا .

وقد نعى القرآن الكريم في العديد من المواضع على غلاة النصارى غلوهم في عيسى ابن مريم عليه السلام، ومن ذلك هذه الآيات الكريبات من سورة مريم ^(١) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّيَّاهَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا . أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا . وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّيَّاهَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ وبين القرآن الكريم أن رب العزة الذي أحاط بكل شيء علماً ومن ذلك العلم بكل ما قال عيسى ابن مريم وفعل، بل وأضمر في نفسه ونوى، سوف يسأل عيسى عليه السلام يوم القيامة عن غلو أتباعه فيه عليه الصلاة والسلام. وفي ذلك اليوم تثبت براءته عليه السلام على رؤوس الأشهاد. قال تعالى ^(٢): ﴿وإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ . قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ . إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ . تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ . وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ . وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد . إِنْ تَعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(١) سورة مريم الآيات من ٨٨ - ٩٥ .

(٢) سورة المائدة الآيات من ١١٦ - ١١٨ .

أكرم الناس عند الله تعالى اتقاكم له جل وعلا:

جاء في سورة الحجرات^(١) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. إِنَّ رَبَّ الْعِزَّةِ يَبْدِئُ كُلَّ النَّاسِ بِأَنَّهُ جُلٌّ وَعَلَا خَلَقَهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى هُمَا آدَمُ وَحَوَاءُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(٢) وَجَعَلَهُمْ جُلٌّ وَعَلَا شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا أَيْ لِيَحْصَلَ التَّعَارُفُ بَيْنَهُمْ كُلٌّ يَرْجِعُ إِلَى قَبِيلَتِهِ^(٣) وَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَفَاخَرُوا. إِنَّ أَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ وَأَخْشَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِفَعْلِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي.

والأحاديث النبوية الشريفة التي تبين معنى الآية الكريمة وتعمقه كثيرة. روى البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أَى النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قال: أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ. قالوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قال: فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ^(٤) قالوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قال: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ قالوا: نَعَمْ. قال: فَخِيَارَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا. رواه النَّسَائِيُّ^(٥) وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ. رواه ابن ماجه^(٦) وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ. لَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى^(٧) وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ بِمَكَّةَ^(٨) فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ^(٩) وَتَعَاظَمَهَا بِأَبَائِهَا. فَالْأَنَاسُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ تَقَى كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيَّ عَلَى اللَّهِ. وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١٠) وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَحْسَابِكُمْ وَلَا إِلَى أَنْسَابِكُمْ وَلَا إِلَى

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٢١٧/٤ وتفسير القرطبي ٦١٦٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٢١٧/٢.

(٤) يوسف عليه السلام هو ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

(٥) تفسير ابن كثير ٢١٧/٤ وتفسير القرطبي ٦١٦٦.

(٦) تفسير ابن كثير ٢١٧/٤.

(٧) تفسير ابن كثير ٢١٧/٤.

(٨) يوم فتح مكة كما جاء في تفسير ابن كثير ٢١٨/٤.

(٩) العِيَّةُ، المُرَّةُ من عَابِ الشَّيْءِ إِذَا صِيرَهُ ذَا عَيْبٍ.

(١٠) تفسير القرطبي ٦١٦١ وتفسير ابن كثير ٢١٧/٤.

أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم. فمن كان له قلبٌ صالحٌ تحنَّ الله عليه. وإنا أنتم بنو آدم وأحبكم إليه أنقاكم^(١) قال تعالى^(٢): ﴿يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾.

إن الإسلام يرفض بالكلية ما نسمع من أن بعض رجال الدين في المسيحية يغفرون الذنوب، بل وربها قدم بعضهم صكوك الغفران. إنا نقول لهؤلاء ولأمثالهم ما جاء في سورة آل عمران^(٣): ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ أى لا أحد يغفر الذنوب إلا الله تعالى^(٤).

(١) تفسير القرطبي ٦١٦٢ .

(٢) سورة الشعراء الآيات ٨٨، ٨٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٥ .

(٤) انظر مثلاً الجلالين .

سؤال رقم

٣

مَنْ هُم الَّذِينَ بَشَّرُوا

بِمُحَمَّدٍ « كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ؟

بشر بمحمد بن عبد الله ﷺ كل من التوراة التي أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السلام. وسيكون القرآن الكريم منطلقنا ثم نتحول إلى كل من التوراة والإنجيل.

بأمر من الله تعالى ذهب موسى عليه السلام إلى جبل الطور ومكث هنالك أربعين ليلة أتاه الله تعالى بعدها التوراة، وفي تلك الاثناء عبد بنو إسرائيل العجل. وبأمر من الله تعالى اختار موسى عليه السلام من بين الذين لم يعبدوا العجل سبعين رجلاً وذهب بهم إلى جبل الطور كي يتوبوا إلى بارئهم جل وعلا من عبادة قومهم العجل فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فدعا موسى عليه السلام ربه جل أن يغفر لهم ويرحمهم فكان الجواب من الله تعالى بأن رحمته الواسعة سيكتبها جل وعلا للذين يتقون ويؤتون الزكاة ويؤمنون بآيات الله تعالى ويتبعون محمد بن عبد الله ﷺ الرسول النبي الامي الذي يجده اليهود والنصارى مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل بعته عليه الصلاة والسلام. وإلى هذه المعاني أشار قوله عز من قائل في سورة الاعراف^(١): ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي. أنهلكنا بما فعل السفهاء منا. إن هي إلا فتنتك نضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاعفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين. واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك. قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. فالذين آمنوا به وعزروه^(٢) ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ وهكذا يبين أن كلا من التوراة الموحى بها إلى موسى عليه السلام والإنجيل الموحى به إلى عيسى عليه السلام قد بشر بمحمد بن عبد الله ﷺ بنص القرآن الكريم.

وفي سورة الصف جاءت الإشارة إلى تبشير عيسى عليه السلام بمحمد بن عبد الله ﷺ. قال تعالى^(٣): ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم

(١) سورة الاعراف الآيات من ١٥٥ - ١٥٧.

(٢) عززوه: وقروه.

(٣) سورة الصف الآية ٦.

مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴿١﴾ .

التوراة تبشر بمحمد ﷺ:

فإذا تحولنا إلى التوراة تبين أن الإمام المهدي السموءل بن يحيى المغربي المتوفى سنة ٥٧٠ هـ في كتابه إفحام اليهود^(١) قد عقد فصلاً عنوانه : ذكر الآيات والعلامات التي في التوراة الدالة على نبوة سيدنا محمد المصطفى ﷺ^(٢) وإليك بعض الاقتباسات في هذا الشأن . يقول رحمه الله تعالى رحمة واسعة^(٣) : «إنهم^(٤) لا يقدرّون على أن يحدوا هذه الآيات من الجزء الثاني من السفر الخامس من التوراة . . . نبياً أقيم لهم من وسط إخوانهم مثلك ، به فليؤمنوا . وإنا أشار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ» ويقول^(٥) : «وهذا دليل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل بالآيات بالمصطفى ﷺ وأتباعه» وفي كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم^(٦) جاء الاقتباس من التوراة على هذا النحو : «سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوانهم مثلك أجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما أمرهم به . والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنقم منه ومن سبطه» وقد علق ابن القيم رحمه الله تعالى رحمة واسعة على هذا النص من التوراة بالقول^(٧) : «فهذا النص مما لا يمكن أحداً منهم جحدته وإنكاره» وقد فند السموءل رأى اليهود الذي يذهب إلى أن المراد بالآية من التوراة شموئيل النبي عليه السلام في كتابه إفحام اليهود^(٨) وفي الشق الأول من رسالته الذي ذكر فيه الرؤيا التي رأى فيها النبي شموئيل عليه السلام الذي بين للسموءل أن المقصود بالآية من التوراة : نبياً أقيم لهم من وسط إخوانهم مثلك به فليؤمنوا ، هو محمد بن عبد الله ﷺ وليس شموئيل عليه

(١) إفحام اليهود وقصة إسلام السموءل ورؤياه النبي ﷺ للإمام المهدي السموءل بن يحيى المغربي تقديم تحقيق تعليق د . محمد عبد الله الشرفاوي . طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض ١٤٠٧ هـ .

(٢) إفحام اليهود ١١١ فما بعدها .

(٣) إفحام اليهود ١١١ .

(٤) يعني اليهود .

(٥) إفحام اليهود ١١٤ .

(٦) هداية الحيارى ص ٥١ .

(٧) هداية الحيارى ٥٢ وانظر هنالك بقية ورود ابن القيم على الصافين لهذا النص عن معناه .

(٨) إفحام اليهود ١١١ - ١١٣ .

السلام، يعنى نفسه^(١).

وتحت فصل عنوانه: الإشارة إلى اسمه في التوراة يقول السموءل^(٢): «قال الله تعالى في الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة مخاطباً إبراهيم الخليل عليه السلام: وأما إسمايل فقد قبلت دعاءك. ها أنا قد باركت فيه، وأثمره وأكثره جداً» وقد علّق السموءل على الآية من التوراة وعلى كلمة ماد ما د التي جاءت فيها بالقول^(٣): «وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة في حق إسمايل وأولاده، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقى كلمات تلك الآية، فلا عجب أن تتضمن الإشارة إلى أجل أولاد إسمايل شرفاً وأعظمهم قدراً، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم» وفي هذا المعنى يقول ابن القيم^(٤): «وفي التوراة ما ترجمته بالعربية: وأما في إسمايل فقد قبلت دعاءك ها أنا قد باركت فيه وأثمره وأكبره بُمَادْ مُأَذْ. هكذا هذه اللفظة مُأَذْ على وزن عُمر. وقد اختلف فيها علماء أهل الكتاب. فطائفة يقولون: معناها جداً جداً، أى كثيراً كثيراً. فإن كان هذا معناها فهو بشارةً بمن عظم من بنيه كثيراً كثيراً. ومعلوم أنه لم يعظم من بنيه أكثر مما عظم من محمد ﷺ. وقالت طائفة أخرى: بل هى صريح اسم محمد. قالوا: ويدل عليه أن ألفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية، فهى أقرب اللغات إلى العربية. . . فإذا أخذت لفظة: مُؤَذْ مُؤَذْ وجدها أقرب شئ إلى لفظة محمد، وإذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين ألفاظ العبرانية والعربية».

وتحت فصل عنوانه: ذكر الموضع الذى أشير فيه إلى نبوة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السلام، وبعد أن يذكر السموءل النص التوراتى يقول^(٥): «تفسيره: قال: إن الله تعالى من سيناء تجلّى، وأشرق نوره من سيعير، وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات القديسى. وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشرة الذى فيه بنو العيص، الذين آمنوا بعبسى عليه السلام، بل في هذا الجبل كان مقام المسيح عليه السلام. ويعلمون أن سيناء هو جبل الطور، لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة.

(١) انظر إتحام اليهود ٦٠ - ٦٤ أما الشئ الآخر من الرسالة فإنه ذكر فيه الروايات التى رأى فيها المصطفى ﷺ وأعلن فيها إسلامه بين يديه ﷺ. انظر إتحام اليهود ٦٥ - ٧٤.

(٢) إتحام اليهود ١١٥.

(٣) إتحام اليهود ١١٧.

(٤) هداية الحيارى ٦١.

(٥) إتحام اليهود ١١٨.

وفي الإشارة إلى هذه الاماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الانبياء ما يقتضى للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدى إلى الامر باتباع مقالتهن.

فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل عليه السلام سكن إسماعيل في برية فاران ونطقت التوراة بذلك في قوله . . . وأقام في برية فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر. فقد ثبت في التوراة أن جبل فاران مسكن لآل إسماعيل. وإذا كانت التوراة قد أشارت في الآية التي تقدم ذكرها إلى نبوة تنزل على جبل فاران، لزم أن تكون تلك النبوة على آل إسماعيل لانهم سكان فاران.

وقد علم الناس قاطبة أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل محمد ﷺ وأنه بُعث من مكة التي كان فيها مقام إسماعيل.

فدل ذلك على أن جبال فاران هي جبال مكة وأن التوراة أشارت في هذا الموضع إلى نبوة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وبشرت به.

وفي هذا الشأن يقول ابن القيم^(١): «قال في التوراة في السفر الخامس: أقبل الله سبحانه من سيناء، وتجلّى من ساعير، وظهر من جبال فاران، ومعه ربوات الإظهار عن يمينه. وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة، نبوة موسى، ونبوة عيسى، ونبوة محمد ﷺ. فمجيئه من سيناء، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ونبأه عليه، إخبار عن نبوته. وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس. وساعير قرية معروفة هناك إلى اليوم. وهذه بشارة بنبوة المسيح. وفاران هي مكة. وشبه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصّبح، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضياؤه، ونبوة خاتم الانبياء بعدها باستعلاء الشمس وظهور ضوئها في الآفاق. ووقع الامر كما أخبر به سواء. فإن الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته، وزاد الضياء والاشراق بنبوة المسيح، وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم. وذكر هذه النبوات الثلاثة التي اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها في أول سورة التين: ﴿والتين والزيتون. وطور سينين. وهذا البلد الأمين﴾ فذكر أمكنة هؤلاء الانبياء وأرضهم التي خرجوا منها. ﴿والتين والزيتون﴾. والمراد بهما منبتهما وأرضهما وهي

(١) هداية الحيارى ٥٣.

الأرض المقدسة التي هي مظهر المسيح. ﴿وطور سينين﴾. الجبل الذي كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته. ﴿وهذا البلد الأمين﴾. مكة حرم الله وأمنه التي هي مظهر نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم. فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء» ويقول^(١): «إن إسماعيل لما فارق أباه سكن في برية فاران. هكذا نطقت التوراة. ولفظها: وأقام إسماعيل في برية فاران وأنكحته أمه امرأة من [جرهم]. ولا يشك علماء أهل الكتاب أن فاران مسكن لآل إسماعيل، فقد تضمنت التوراة نبوة تنزل بأرض فاران. وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد إسماعيل، وتضمنت انتشار أمته وأتباعه حتى يملئوا السهل والجبل» وجاء في موضع آخر^(٢): «وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة، وباسمها تسمى من أتبع نصارى» وجاء في موضع آخر^(٣): «قال علماء الإسلام: وساعير جبل بالشام منه ظهور نبوة المسيح. وإلى جانبه قرية بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح تسمى اليوم: ساعير. ولها جبال تسمى ساعير» وحول اختلاف ترتيب المواضع الثلاثة والنبوات الثلاث في كل من التوراة والإنجيل والقرآن يقول ابن القيم^(٤): «لما كان ما في التوراة خبراً عن ذلك أخير به على الترتيب الزماني، فقدم الأسبق ثم الذي يليه. وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيماً لشأنها وإظهاراً لقدرته وآياته وكتبه ورسله. فأقسم بها على وجه التدرج درجة بعد درجة. فبدأ بالعالى، ثم انتقل إلى أعلى منه، ثم أعلى منها. فإن أشرف الكتب القرآن، ثم التوراة، ثم الإنجيل. وكذلك الأنبياء»^(٥).

الإنجيل يبشر بمحمد ﷺ:

فإذا تركنا التوراة إلى الإنجيل استطعنا أن نجد من النصوص التي تبشر بمحمد بن عبد الله ﷺ ما يلي: «إن المسيح قال للحواريين إني ذاهب وسيأتيكم الفار قليط روح الحق، لا يتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له. وهو يشهد على وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس. وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به. وفي إنجيل يوحنا:

(١) هداية الحيارى ٥٣.

(٢) هداية الحيارى ٦٧ نقلاً عن أبي محمد ابن قتيبة.

(٣) هداية الحيارى ٦٧.

(٤) هداية الحيارى ٦٨.

(٥) بشأن نصوص أخرى من التوراة في نبوة محمد ﷺ انظر هداية الحيارى ٥٤ الوجه الثالث و٥٥ الوجه الرابع.

الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب . وإذا جاء ويخ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه مما يسمع به ويكلّمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب . . . وفي موضع آخر: إني سائلُ له أن يبعث إليكم فار قليباً آخر يكون معكم إلى الأبد ، وهو يعلمكم كل شيء . وفي موضع آخر: ابن البشر ذاهبٌ والفارقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار ويفسر لكم كل شيء . وهو يشهد لي كما شهدت له ، فإني أجيتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل . قال أبو محمد بن قتيبة : وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة ، وإنها اختلفت لأن من نقلها عن المسيح ﷺ في الإنجيل من الحوارين عدّة .

والفار قليب بلغتهم لفظٌ من ألفاظ الحمد ، إما أحد أو محمد أو محمود أو حامد أو نحو ذلك»^(١) «وقال متى : قال المسيح : ألم تروا أن الحجر الذي أخره البناءون صار أساً للزاوية من عند الله . كان هذا وهو عجيبٌ في أعيننا . ومن أجل ذلك أقول لكم : إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمةٍ أخرى تأكل ثمرتها . ومن سقط على هذا الحجر ينسحق . وكل من سقط عليه يمحقه»^(٢) «وقال يوحنا : قال المسيح : إن أركون العالم سيأتي وليس لي شيء»^(٣) «وأركون العالم هو عظيم العالم وكبير العالم . وتأمل قول المسيح في هذه البشارة التي لا ينكرونها : إن أركون العالم سيأتي وليس لي من الامر شيء ، كيف هي شاهدةٌ بنبوة المسيح ونبوة محمد معاً فإنه لما جاء صار الامر له دون المسيح . فوجب على العالم كلهم طاعته والانقياد لأمره وصار الأمر له حقيقة . ولم يبق بأبدى النصارى إلا دينٌ باطله أضعاف حقه ، وحقه منسوخٌ بها بعث الله به محمداً ﷺ ، فطابق قول المسيح قول أخيه محمد ﷺ : ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيحكم بكتاب ربكم . وقوله في اللفظ الآخر: يأتيكم بكتاب ربكم . فطابق قول الرسولين الكريمين وبشر الأول والثاني وصدق الثاني بالأول . وتأمل قوله في البشارة الأخرى : ألم تر لي إلى الحجر الذي أخره البناءون صار أساً للزاوية ، كيف تحده مطابقاً لقول النبي ﷺ : مثلي ومثل الأنبياء قبل كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنةٍ منها ، فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ويقولون : هلا وضعت تلك اللبنة ، فكنت أنا تلك اللبنة»^(٤) .

(١) هداية الحيارى ٥٥ .

(٢) هداية الحيارى ٥٦ .

(٣) هداية الحيارى ٥٦ .

(٤) هداية الحيارى ٦٢ .

وإذا تأملت التوراة والإنجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كالتفصيل لمجملها والتأويل لأمثالها والشرح لرموزها . وهذا حقيقة قول المسيح : أجيئكم بالأمثال ويجيئكم بالتأويل ويفسر لكم كل شيء^(١).

وتأمل قول النبي ﷺ وقد سئل ما أول أمرك قال : أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى^(٢).

(١) هداية الحيارى ٦٣ .

(٢) هداية الحيارى ٦٤ .

سؤال رقم

٤

مَنْ هُوَ

المؤسس الحقيقي للإسلام ؟

حينما ننظر إلى الفئات التي أنعم الله تعالى عليها في قوله عز من قائل^(١): ﴿ومن يطع الله والرسول فأنتك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً﴾ نتبين أن ثمة نعمتين التين هما محض فضل من الله تعالى . وهاتان النعمتان هما نعمة الرسالة ونعمة النبوة . والمعروف أن نعمة النبوة هي الطريق الوحيد المؤدى إلى نعمة الرسالة ، ولذا فإن في ذكر النبيين على رأس قائمة المنعم عليهم ذكراً ضمناً لنعمة الرسالة التي جاءت الإشارة إليها في القول : ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ ولما كانت درجة النبوة هي الطريق الوحيد المؤدى إلى درجة الرسالة الأعلى كان في هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب^(٢) : ﴿ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شيء عليماً﴾ وصنف للمصطفى ﷺ بأنه خاتم النبيين ، لان في إغلاق باب النبوة الطريق الوحيد المؤدى إلى الدرجة الأعلى درجة الرسالة إغلاقاً ضمناً لدرجة الرسالة الأعلى ، وهذا من باب الأولى والأخرى .

أما وقد تبين أن درجتي النبوة والرسالة محض فضل من الله تعالى على المصطفين من عباده جل وعلا الأخيار ، وأن محمد بن عبد الله ﷺ قد أنعم الله تعالى عليه بأنه خاتم النبيين وأشرف المسلمين ، فإن ذلك كله معناه أن محمد بن عبد الله ﷺ الذي أرسله الله تعالى بدين الاسلام الناسخ لكل دين سواه والذي أوحى الله تعالى إليه القرآن الكريم لا يده في فضل الله تعالى العظيم الذي أسبغه الله تعالى عليه واصطفاه به . وما أكثر الآيات الكريات في معرض المن من الله تعالى على رسوله الكريم ﷺ . قال تعالى^(٣) : ﴿وما كنت ترجو أن يُلْقَى إليك الكتابُ إلا رحمةً من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين﴾ وقال تعالى^(٤) : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض . ألا إلى الله تصير الأمور﴾ وقال تعالى^(٥) : ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفةٌ منهم أن يضلوك

(١) سورة النساء الآية ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٣) سورة القصص الآية ٨٦ .

(٤) سورة الشورى الآية ٥٢ ، ٥٣ .

(٥) سورة النساء الآية ١١٣ .

وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء . وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴿١﴾ : ﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربياً لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴿٢﴾ وقال تعالى ﴿٣﴾ : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون . بل هو آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أتوا العلم . وما يجحد بآياتنا الظالمون﴾ وقال تعالى ﴿٣﴾ : ﴿وإذا جاءهم آيةٌ قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثلما أوتى رُسُلُ الله . الله أعلم حيث يجعل رسالته . سيصيب الذين أجرموا صغارٌ عند الله وعذابٌ شديدٌ بما كانوا يَمْكُرُونَ﴾ .

من الآيات الكرييات السابقات وغيرها من الآيات الكرييات يتبين أن محمد بن عبد الله ﷺ الرسول النبي الامى ما كان يدرى قبل أن يصطفيه الله تعالى بنعمة النبوة ما الكتاب ولا الإيمان ولا الوحي . إن المصطفى ﷺ حينما كان في غار حراء يعبد الله تعالى على دين إبراهيم عليه السلام جاءه الحق وجاءه الملك جبريل عليه السلام بأولى فطرات غيث القرآن الكريم ، بالآيات الأولى من سورة العلق : ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (٤) لقد أكرم الله تعالى حبيبه المصطفى ﷺ بنعمتى النبوة والرسالة وبالقرآن الكريم ، وبالحكمة بمعنى السنة النبوية المطهرة ، وبنعمته ختم النبوة وبالرسالة الخاتمة ، وبدين الاسلام الذى قال الله تعالى فيه (٥) : ﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾ وقال تعالى (٦) : ﴿ومن يتبغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبَل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ وقال تعالى (٧) : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾ وقال تعالى (٨) : ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ وقال تعالى (٩) : ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره

(١) سورة يوسف الآية ٢ ، ٣ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) سورة الأنعام ١٢٤ .

(٤) انظر هنا مثلاً فتح البارى ٢٢/١ فى بعدها .

(٥) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٦) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٧) سورة المائدة الآية ٣ .

(٨) سورة التوبة الآية ٣٣ والصف الآية ٩ .

(٩) سورة الفتح الآية ٢٨ .

على الدين كله . وكفى بالله شهيداً ﴿ وقال تعالى ^(١) : ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ .

من كل ما سبق يتبين أن الاسلام هو الدين الذى أرسل الله تعالى به خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ واصطفاه به وأوحاه إليه دون أن يكون منه ﷺ قبل أن يوحى الله تعالى إليه علم بشيء من ذلك الفضل العظيم عليه فضلاً عن أن يكون منه عليه الصلاة والسلام تطلع إلى تلك النعم والآلاء . إن الله سبحانه وتعالى هو الذى أرسل محمد بن عبد الله ﷺ بدين الإسلام .

سؤال رقم

٥

نرجوكم أن تقدموا عرضاً مختصراً

عن الإسلام من حيث :

*** العقيدة :**

*** أركان الإسلام**

*** المراتب الدينية في الإسلام**

*** أنواع الوحي في الإسلام**

نود أن نجيب عن هذا السؤال وفق ترتيب العناصر في السؤال .

عقيدة التوحيد :

سبق لنا ، بشأن السؤال الذى يطلب ذكر ثلاث نقاط تميز الإسلام عن النصرانية ، أن أشرنا إلى أولى النقاط وأهمها وهى توحيد الله تعالى . وقد استشهدنا على ذلك ببعض آى القرآن الكريم ، ومن هذه الآيات الكريبات سورة الإخلاص . قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

أركان الإسلام :

أركان الإسلام خمسة :

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

إقام الصلاة .

إيتاء الزكاة .

صوم رمضان

حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً^(١) .

المراتب الدينية فى الإسلام :

انطلاقاً من قوله تعالى فى سورة الحجرات^(٢) : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير ﴾ وبناءً على الحديث النبوى الشريف^(٣) : إنما الاعمال بالنيات ، ولما كانت التقوى محلها القلب ولا يعلم ما فى القلب إلا الله تعالى كان فى الإسلام مراتب ، يعلم الله تعالى وحده لا شريك له من استمسك بتعاليمها وأدركها .

إن ثمة ثلاث مراتب متدرجة إلى الأعلى وهى الإسلام والإيمان والإحسان .

أما الإسلام فقد عرفنا أركانه الخمسة .

(١) انظر مثلاً صحيح البخارى ٩ / ٩ وهذه الأركان فى الحديث المتفق عليه .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٣) انظر مثلاً صحيح البخارى ٢١ / ١ .

وأما الإيمان فإن أركانه ستة نص عليها الحديث النبوى الشريف وهى : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره^(١).

وأما الإحسان فإنه ركبٌ واحدٌ نص عليه الحديث النبوى الشريف وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(٢).

وإذا كانت مرتبة الإسلام تفضى إلى مرتبة الإيمان ، وكانت مرتبة الإيمان تفضى إلى مرتبة الإحسان ، أرفع الدرجات الثلاث ، فإن بين أركان الإسلام والإيمان نوعاً من التداخل نستطيع أن نتيبنه حينما نتدبر أركان الإسلام وأركان الإيمان .

إنه بناءً على التداخل بين أركان الإسلام وأركان الإيمان كان ثمة تداخل بين هاتين المرتبتين .

وتفسير ذلك أن الإسلام يبدأ بالنطق بالشهادتين شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، بمعنى أن الشهادتين هما الركن الأول من أركان الإسلام . ولما كان النطق بالشهادتين من عمل اللسان الدال على اعتقاد القلب وكان بحاجة إلى الدليل على صدق النطق بالشهادتين وصحة المعتقد فقد تحقق ذلك الدليل فى بقية أركان الإسلام ، وهى : أولاً : إقامة الصلاة المفروضة وهى خمس صلوات فى اليوم والليلة ، ركعتان فى الفجر وأربع فى كل من الظهر والعصر وثلاث فى المغرب وأربع فى العشاء . وثانياً : إيتاء الزكاة فى أربعة أصناف من المال ، وهى أكثر الأموال دوراً بين الخلق ، وحاجتهم إليها ضرورية . أحدها : الزرع والثمار . الثانية : بهيمة الأنعام ، الإبل والبقر والغنم . الثالث : الجوهران اللذان بهما قوام العالم وهما الذهب والفضة . الرابع : أموال التجارة على اختلاف أنواعها^(٣) وتتفاوت الزكاة بين الاثنين والنصف فى المائة وبين العشرين فى المائة . إن ما يعثر عليه فى الأرض من دفائن وكنوز وثروات طبيعية ، وهو ما يسمى بالركاز ، يشترط إخراج زكاته على الفور ومقدارها الخمس أى عشرون فى المائة . وتحب الزكاة بشرطين إذا حال الحول وصح ملك النصاب . وفيما يتصل بالزروع والثمار تحب على الفور لقوله تعالى^(٤) : ﴿وَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . وثالثاً صيام شهر رمضان ورابعاً

(١) من الأربعين النووية ٣١ وصحيح البخارى ٢٠ / ١ .

(٢) صحيح البخارى ٢٠ / ١ .

(٣) زاد المعاد ١ / ١٨١ .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٤١ .

حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً مرة واحدة في العمر.

فإذا تحولنا إلى أركان الإيمان تبين أنها هي أن تؤمن بالله تعالى، ويلتقى هذا الركن مع الركن الأول من أركان الإسلام وهو الشهادتان، وأن تؤمن بملائكته، وتؤمن بكتبه ومنها القرآن الكريم، وتؤمن برسله، ومنهم خاتمهم وأشرفهم محمد بن عبد الله ﷺ، ويلتقى هذا الركن مع الركن الأول من أركان الإسلام أيضاً، وأن تؤمن باليوم الآخر يوم القيامة وبالبعث والحساب فالثواب أو العقاب، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى، وذلك بأن تعتقد بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ويظل المسلم يتقرب إلى الله تعالى بما فرض عليه من واجبات وسن له من نوافل، ويظل يتقلب في درجات الإسلام والإيمان حتى يصل إلى قمة الإسلام والإيمان وهي مرحلة الاستسلام المطلق للذات العلية. إن مرحلة الاستسلام هذه يطلق عليها لفظ الإسلام كذلك. وكأن لفظة الإسلام تمثل أولى درجات الإسلام بإعلان الدخول في الإسلام وذلك بالنطق بالشهادتين، وتمثل أعلى درجات الإيمان بين يدي درجة الإحسان ذات الركن الواحد الذي تبيننا من ذي قبل.

وإذا كان الإحسان ركناً واحداً وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فإن هذا الإحسان يكاد يكون له وجه آخر وهو تقوى الله تعالى بمعنى خوفه جل وعلا في السر والعلن وفعل الأوامر واجتناب النواهي.

وهكذا يتبين أن درجة الإحسان إذا كانت ذات ركني واحد فإن درجتي الإسلام والإيمان المفضيتين إليها متداخلتان بحيث إن الإسلام إذا كان من جهة الابتداء يمثل بداية الدخول في دين الإسلام فإنه من جهة الانتهاء يصح أن يمثل نهاية درجة الإيمان. ومن الآيات الكريبات التي تدل على الإسلام في أولى درجاته قوله تعالى^(١): ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وقوله تعالى^(٢): ﴿يُخْلَفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ ومن الآيات الكريبات التي تدل على الإسلام في رفيع درجاته قوله تعالى^(٣): ﴿قُلْ إِنِّي نَبِيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ

(١) سورة الحجرات الآية ١٤.

(٢) سورة التوبة الآية ٧٤.

(٣) سورة غافر الآية ٦٦.

العالمين». وقوله تعالى^(١): «قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَأَمْرُنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ».

أنواع الوحي :

في الإسلام ثلاثة أنواع من الوحي .

القرآن الكريم .

الحديث القدسي .

الحديث النبوي الشريف .

وإن كلاً من هذه الأنواع الثلاثة من الوحي بحاجة إلى تبين يتضح منه ما بينها من فروق .

القرآن الكريم :

هو كلام الله تعالى المتعبد بتلاوته الموحى به بواسطة رسول من الملائكة كريم، هو جبريل عليه السلام أمين الله تعالى على وحيه، إلى رسول من البشر كريم، هو محمد بن عبد الله ﷺ، المتحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثل سورة واحدة من أقصر سوره . فالقرآن الكريم موحى به لفظاً ومعنى، ومتواتر اللفظ في نقله، وتجب روايته وتلاوته بلفظه .

الحديث القدسي :

هو ما يرويه الرسول ﷺ عن ربه جل وعلا . فالمعنى من الله تعالى ويغلب على الحديث القدسي أن يكون اللفظ من الله تعالى . والحديث القدسي غير متحدى به، ولا يشترط التواتر في نقله، ويجوز روايته بالمعنى عند الحاجة . والحديث القدسي يكون الإيجاز به بواسطة جبريل عليه السلام وعن طريق الرؤيا^(٢).

الحديث النبوي الشريف :

الحديث النبوي الشريف موحى به من الله تعالى من جهة المعنى، أما لفظه فمن المصطفى ﷺ الذي خصه الله تعالى بجوامع الكلم، أى بالكلام القليل الألفاظ الكثير

(١) سورة الأنعام الآية ٧١ .

(٢) انظر هنا أدب الأحاديث القدسية . د . أحمد الشرباصي ٩ ، ١٠ .

المعاني . جاء في نعت النبي ﷺ في سورة النجم ^(١) قوله تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحيٌ يوحى﴾ .

والحديث النبوي الشريف جزءٌ من السنة النبوية المطهرة . والسنة النبوية المطهرة عبارةٌ عن أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته . والمراد بتقريراته ﷺ ما أقر غيره على فعله فعلى سبيل المثال أكل الضَّبُّ على مائدة المصطفى ﷺ ، فَعَلِمَ أن أكله حلال مع أن النبي ﷺ لا يأكله لأن نفسه عليه الصلاة والسلام تعافه . والمراد بصفاته ﷺ شمائله عليه الصلاة والسلام . ومن ألطف الكتب في هذا الفن كتاب : الشَّائِلُ المحمدية للإمام أبي عيسى محمد بن سَوْرَةَ الترمذی صاحب سنن الترمذی . ويشتمل كتاب الشَّائِلُ المحمدية على ثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثاً ^(٢) .

(١) سورة النجم الآية ٣ ، ٤ .

(٢) الشَّائِلُ المحمدية ٣ .

*** كيف ينظر الإسلام إلى الأديان الأخرى ؟**
*** وهل يمكن للمسلمين أن يقتبسوا من هذه**
الأديان لتحسين طرق ممارستهم لدينهم ؟
*** وهل يقبل الإسلام نظرية توحيد الأديان وهو**
ما يُعرف بالمسكونية ؟

سيكون الجواب على هذا السؤال بأجزائه الثلاثة على النحو التالى الذى سيتبين منه أنه يركز على الجزء الأول، المتعلق بنظرة الإسلام إلى الأديان الأخرى، وبناء على هذه النظرة يكون موقف الإسلام من الجزءين الآخرين من السؤال.

إنه بالنظر إلى الأديان كلها ومنها الإسلام يتبين أن ثمة مجموعتين من الأديان. المجموعة الأولى السأوية، ويمثلها بناء على تاريخ الوجود كل من اليهودية والنصرانية والإسلام. لقد أرسل الله تعالى موسى عليه السلام وأوحى إليه التوراة، وأرسل عيسى عليه السلام وأوحى إليه الإنجيل. وإن موسى عليه السلام كبير أنبياء بنى إسرائيل، وإن عيسى عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل. وأرسل الله تعالى محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين وأشرف المرسلين، وأوحى إليه القرآن الكريم. وإن محمد بن عبد الله ﷺ هو النبی الوحيد من من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليها السلام، فى حين أن كل أنبياء بنى إسرائيل من ذرية إسحاق بن إبراهيم عليها السلام.

والمجموعة الأخرى الأديان غير السأوية.

وإن هذه الآية الكريمة من سورة الحج^(١): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِّينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ تشير إلى الأديان الستة^(٢) عن طريق الإشارة إلى أتباعها وهم المسلمون واليهود والصابئون والنصارى والمجوس عبدة النار والذين أشركوا.

إن دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ يعترف باليهودية والنصرانية باعتبارهما دينين سبأويين بعث الله تعالى موسى عليه السلام بأولهما وأنزل عليه التوراة، وبعث عيسى عليه السلام بأخرهما وأنزل عليه الإنجيل. وإن إطلاق اعتراف الإسلام باليهودية والنصرانية بحاجة إلى تقييد أو توضيح سنتبينه إن شاء الله تعالى مستقبلا. ولا يعترف الإسلام بغير هذين الدينين السبأويين.

وحينما لا يعترف الإسلام بالأديان غير السأوية أصلاً فذلك معناه أن الجزءين الآخرين من السؤال لا معنى لهما، لأن الإسلام إذا كان لا يعترف بالأديان غير السأوية فلا معنى إذن للسؤال عن إمكان اقتباس الإسلام دين التوحيد من أديان الشرك

(١) سورة الحج الآية ١٧.

(٢) هذه الآية الكريمة تلقب بآية الفصل. انظر هداية الحيارى ١٢.

الوضعية البشرية فضلاً عن الاتحاد معها أو الاندماج فيها .

وكان السؤال بأجزائه الثلاثة يتعلق باليهودية والنصرانية وحدهما وقد وعدنا بتوضيح معنى القول : إن الإسلام يعترف باليهودية والنصرانية .

لقد بعث الله تعالى محمد بن عبد الله ﷺ بالصورة الكاملة من دين الاسلام، الخفية السمحة دين أبينا إبراهيم عليه السلام . وبذلك نسخ دين الإسلام الذي بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ كل دين سواه، بما في ذلك اليهودية والنصرانية الدينين السباوين. إن الله سبحانه وتعالى ما بعث نبياً إلا أخذ عليه الميثاق بالإيمان بمحمد وتصديقه كما قال تعالى^(١) : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ . قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكَ إِبْرَئِيلَ^(٢)﴾ قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين^(٣) . قال ابن عباس : ما بعث الله من نبي إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به وليبصرن، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتابعن^(٤) . إن موسى عليه السلام سأل ربه جل وعلا أن يكتب له ولقومه الحسنة في الأولى والآخرة فكان الجواب من الله تعالى بأن اتباع محمد بن عبد الله ﷺ - حينما يبعث - من شروط رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء . قال تعالى^(٥) : ﴿وَكَتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ . قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْإِغْلَالَ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ . فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار^(٥) . رواه مسلم .

(١) سورة آل عمران الآية ٨١ .

(٢) إِبْرَئِيلَ : عهدي تفسير ابن كثير ٣٧٨ / ١ .

(٣) هداية الحيارى ٥١ والرسالة النورية ٥٤ وتفسير ابن كثير ٣٧٨ / ١ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣٥٤ / ١ .

وبشأن تأييد الجواب بالنفي على السؤال : هل يمكن للمسلمين أن يقتبسوا من هذه الأديان لتحسين طرق ممارستهم لدينهم نود أن نشير إلى :

(أ) ما آل إليه حال اليهود والنصارى في مجال الدين من حيث العقيدة ، وتحريف الكتابين السواوين ، وتبديل الدين .

(ب) ما آل إليه حال الصلاة في كل من اليهودية والنصرانية باعتبار الصلاة في الإسلام عماد الدين وأهم أركانه بعد الشهادتين .

(أ) حال اليهود والنصارى في مجال الدين :

قال تعالى ^(١) : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْمُ بَاقُوا هَهُمْ يَضَاهُون ^(٢) ۚ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ . قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُوَفِّقُونَ . اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُو إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًُا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ وَجَاءَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ ^(٣) قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ . بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا . وَكَفَرَهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ هَتَانًا عَظِيمًا . وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ . وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ . مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا . بَلْ رَفَعَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا . فَبُظْلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبَصَدَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا . وَأَخَذَهُمُ الرُّبَا وَقَدْ نَهَوْنَا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ . وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ وَجَاءَ عَنِ النَّصَارَى أَتْبَاعُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٤) : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ . وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ . وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ . وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

(١) سورة التوبة الآية ٣٠ ، ٣١ .

(٢) يضاؤون : يشابهون .

(٣) سورة النساء الآيات من ١٥٥ - ١٦١ .

(٤) سورة المائدة الآية ٧٢ - ٧٥ .

أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه . والله غفورٌ رحيم . ما المسيح ابن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقةٌ كانا يأكلان الطعام . انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون» .

وما أشد تحريف كلٍ من اليهود والنصارى لنصوص التوراة والإنجيل وتعاليم الدين .

وبالك هذه الاقتباسات . جاء في كتاب إفحام اليهود^(١) : «فصل في ذكر طرفٍ من كفرهم وتديبلهم وهذه الطائفة من فنون الضلال والاختلال ، ما تنأى عن مثله العقول ، ويخالفه المعقول والمشروع .

فمن ذلك أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم ، وعلمهم بالغضب الممدود عليهم يقولون في كل يومٍ في صلواتهم : إنهم أبناء الله وأحباؤه^(٢) ذلك قولهم كل يومٍ في الصلوات . . .

وينتظرون قائماً يأتيهم من آل داود النبي إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى إلا اليهود .

وأن هذا المنتظر - بزعمهم - هو المسيح الذي وعدوا به .

وقد كان الأنبياء عليهم السلام ضربوا لهم أمثالاً أشاروا بها إلى جلالة دين المسيح وخضوع الجبارين لاهل ملته وإتيانه بالتَّشْخ العظيم . فمن ذلك قول يشعيا في نبوته . . . إن الذئب والكبش يرعيان جيعاً ، ويربضان معا ، وإن البقرة والدب يرعيان جيعاً ، وإن الأسد يأكل التبن كالبقرة .

فلم يفهموا من تلك الأمثال إلا صورها الحسية دون معانيها العقلية ، فتولوا عن الإيمان بالمسيح عند مبعثه ، وأقاموا ينتظرون الأسد حتى يأكل التبن ، وتصح لهم حينئذٍ علامة المسيح وسبيلهم ألا يعدلوا عن تتبع الأسود وطرح غاباتهم وطرح التبن بين أيديها ليعلموا وقت أكلها إياه .

وأيضاً فإنهم في العشر الأول من كل سنة يقولون في صلواتهم وسيكون لله

(١) ١٢٤ فما بعدها .

(٢) إلى ذلك أشارت الآية الكريمة ١٨ من سورة المائدة .

الملك، وفي ذلك اليوم يكون الله واحداً ويعنون بذلك أنه لا يظهر أن الملك لله إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته .

فأما مدامات الدولة لغير اليهود فإن الله خامل الذكر عن اللأم، وأنه مطعون في ملكه، مشكوك في قدرته . . . وما ينخرط في هذا السلك قومهم . . . انتبه لم تنام يارب استيقظ من رقتك .

وهؤلاء إننا نلقوا بهذه الهذيان والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار، وانتظار الفرج لا يزداد منهم إلا بعدا .

فأوقعهم ذلك في الطيش والضجر وأخرجهم إلى نوع من التزندق والهذيان الذي لا تستحسنة إلا عقولهم الركيكة . فتجراؤا على الله هذه المناجاة القبيحة . . .

ومن ذلك أنهم ينسبون إلى الله - سبحانه وتعالى - الندم على ما يفعل ، فمن ذلك قومهم في التوراة التي بأيديهم وندم الله على خلق البشر في الأرض وشق عليه»

ويعلق الإمام المهتدى السموئل بن يحيى المغربي مؤلف إفحام اليهود على هذا الطرف من كفرهم وتبديلهم بالقول^(١) : «ولسنا نرى أن هذه الكفريات كانت في التوراة المنزلة على موسى صلوات الله عليه» ويقول^(٢) : «علمائهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها المنزلة على موسى البتة» ويقول^(٣) : «فهذه التوراة التي بأيديهم - على الحقيقة - كتاب عزرا^(٤) وليس كتاب الله» .

وإذا كانت هذه الاقتباسات متعلقة باليهود فإليك هذه الاقتباسات المتعلقة بالنصارى كى يتبين المدى البعيد لانحراف النصارى عن دين المسيح ابن مريم عليه السلام وذلك على غرار انحراف اليهود عن دين موسى عليه السلام .

جاء في كتاب هداية الحيارى^(٥) لابن القيم ما يلى : «والنصارى لا يقرون أن

(١) إفحام اليهود ١٣٥ .

(٢) إفحام اليهود ١٣٥ .

(٣) إفحام اليهود ١٤٠ .

(٤) عزرا الوراق أو الناسخ هو كاتب التوراة التى بأيدي اليهود الآن كتبها قبل بعثة المسيح عليه السلام بخمسةائة وخمسين وأربعين سنة . إفحام اليهود هامش رقم (١) .

(٥) هداية الحيارى ٤٨ .

الإنجيل منزلٌ من عند الله على المسيح وأنه كلام الله؛ بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمانٍ مختلفة ولا يعرفون الإنجيل غير هذا. إنجيل ألفه متى تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح وكتب بالعبرانية في بلد يهود بالشام. وإنجيل ألفه مرقس الهاروني تلميذ شمعون بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح وكتبه باليونانية في بلاد أنطاكية من بلاد الروم، ويقولون إن شمعون المذكور هو ألفه ثم محي اسمه من أوله ونسب إلى تلميذه مرقس. وإنجيل ألفه لوقا الطبيب الأنطاكي تلميذ شمعون بعد تأليف مرقس. وإنجيل ألفه يوحنا تلميذ المسيح بعدما رُفِعَ المسيح بوضع وستين سنة، كتبه باليونانية. وكل واحد من هذه الأربعة يسمونه الإنجيل. وبينها من التفاوت والزيادة والنقصان ما يعلمه الواقف عليها.

ويقول ابن القيم^(١): «والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعا إلى عبادة نفسه وأمه وأنه ثالث ثلاثة وأنه الله وابن الله» علماً بأن أتباع المسيح عليه السلام ظلوا يسرون على خطواته قرابة ثلاثمائة سنة ثم غيروا وبدلوا. يقول ابن القيم^(٢): «وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريباً من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهون ومكابدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة.

فأروا اليهود قد قالوا في المسيح إنه ساحرٌ مجنونٌ مخرقٌ ولد زنية فقالوا: هو إلهٌ تامٌ وهو ابن الله. وأروا اليهود يحتشنون فتركوا الختان. وأروهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة. وأروهم يتجنبون مأكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجاءعوها. وأروهم يحرمون الخنزير فأباحوه وجعلوه شعار دينهم. وأروهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحايوان فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة وقالوا: كل ما شئت ودع ما شئت لا حرج. وأروهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم المشرق. وأروهم يحرمون على الله نسخ شريعة فأباحوه فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ما شاءوا ويحللوا ما شاءوا ويحرموا ما شاءوا. وأروهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الأحد وأحلوا السبت مع إقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت ويحفظه. وأروهم ينفرون من الصليب فإن في التوراة: ملعونٌ من تعلق بالصليب، والنصارى تقر بهذا فعبدوا هم الصليب.

(١) هداية الخبيري ٦٥ وانظر الصفحات ٨، ٢١، ٤٨.

(٢) هداية الخبيري ١٤٢.

كما أن في التوراة تحريم الخنزير نصاً فتعبدوا هم بأكله . وفيها الأمر بالختان فتعبدوا هم بتركه مع إقرار النصارى بأن المسيح قال لأصحابه : إنما جئتكم لأعمل بالتوراة ووصايا الأنبياء قبل . وما جئت ناقضاً بل متمماً . ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى ، فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايده اليهود ومغايلتهم» .

وابن القيم يسأل في إنكار^(١) : «وكيف يكون في الإنجيل الذي أنزل على المسيح قصة صلبه وما جرى له وأنه أصابه كذا وكذا، وصلب يوم كذا وكذا، وأنه قام من القبر بعد ثلاث، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى . وغايته أن يكون من كلام الخواريين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع إنجيلاً»^(٢) .

ونكتفى بهذه الاقتباسات القليلة التي تدل على تبديل القوم دينهم .

(ب) ما آل إليه حال الصلاة في اليهودية والنصرانية..

الصلاة في الإسلام عماد الدين . وإذا كان رب العزة قد فرض الصلاة على المصطفى ﷺ في السماوات العلى ليلة المعراج لأهميتها، فإن جبريل عليه السلام في صبيحة اليوم التالي علم المصطفى ﷺ الصلاة وأوقاتها على النحو المعروف^(٣) . وعلم المصطفى ﷺ أمته كذلك، ولا زال المسلمون يصلون وسيظلون يصلون بإذن الله تعالى إلى يوم الدين كما كان عليه الصلاة والسلام يصل .

انظر في المقابل إلى تطور الصلاة عند كل من اليهود والنصارى . بعد أن ذكر الإمام المهتدى السموهلي بن يحيى المغربي^(٤) البلاء الذي حل ببني إسرائيل من ملوكهم قبل غيرهم في جميع المجالات، ومنها الدينية لدرجة أنهم تركوا أحكام التوراة والشرع مدة طويلة وأعصاراً متصلة وعبدوا الأصنام تحدث عما ابتدعه اليهود بشأن الصلاة في ظل حكم الفرس في قديم الزمان، يقول^(٥) : «فإن الفرس كثيراً ما منعوه عن الختانة،

(١) هداية الحيارى ٤٨ .

(٢) انظر ما ذكره ابن القيم في هداية الحيارى ٢٠ عما في كتبهم عن الصليب والصلب .

(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ٨٣ .

(٤) انظر إفحام اليهود ١٤٣ - ١٤٥ .

(٥) إفحام اليهود ١٤٥ .

وكثيراً ما منعوهم عن الصلاة لمعرفةهم أن معظم صلوات هذه الطائفة دعاءً على الأمم بالبور، وعلى العالم بالخراب، سوى بلادهم التي هي أرض كنعان.

فلما رأت اليهود الحيد من الفرس في منعهم عن الصلاة اخترعوا أدعية مزجوها فضلاً من صلاتهم وسموها الخزانة وصاغوا لها ألحاناً عديدة وصاروا يجتمعون أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها.

والفرق بين هذه الخزانة وبين الصلاة أن الصلاة بغير لحن وأن المصلّي يتلو الصلاة وحده ولا يجهر معه غيره، وأما الخزان فيشاركه جماعة في الجهر بالخزانة ويعاونونه في الألحان. فكانت الفرس إذا أنكرت ذلك منهم زعمت اليهود أنهم يغنون أحياناً، وينوحون أحياناً على أنفسهم، فتركوهم وذلك.

ومن العجب أن دولة الإسلام لما جاءت مقرة للذمة على أديانها وصارت الصلاة مباحة لهم صارت الخزانة عند اليهود من السنن المستحبة في الأعياد والمواسم والأفراح، يجعلونها عوضاً عن الصلاة ويستغنون بها عنها من غير ضرورة تبعثهم على ذلك.

فإذا تحولنا إلى النصارى تبيناً أنهم خالفوا عيسى عليه السلام بشأنها كما خالف بنو إسرائيل موسى عليه السلام. يقول ابن القيم^(١) في هذا الشأن: «... فإن المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين بالطهارة، ويغتسل من الجنابة، ويوجب غسل الخائض. وطوائف الناصري عندهم أن ذلك كله غير واجب وأن الإنسان يقوم من على بطن المرأة ويبول ويتغوط ولا يمس ماءً ولا يستجمر. والبول والنحو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك وصلاته صحيحة تامة. ولو تغوط وبال وهو يصل لم يضره فضلاً عن أن يفسد أو يضرط. ويقولون إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين واليهود وأقرب إلى مخالفة الأمتين. ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه.

وهذه الصلاة، رب العالمين يرى منها وكذلك المسيح وسائر النبيين، فإن هذه بالامتياز أشبه منها بالعبادة. وحاش المسيح أن تكون هذه صلاته أو صلاة أحد من الخواريين. والمسيح كان يقرأ في صلاته ما كان الأنبياء وبنو إسرائيل يقرءونه في صلاتهم

من التوراة والزبور. وطوائف النصارى إنما يقرءون في صلاتهم كلاماً قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم، يجرى مجرى النوح والأغاني فيقولون: هذا قداس فلان وهذا قداس فلان، ينسبونه إلى الذين وضعوه، وهم يصلون إلى الشرق، وما صلى المسيح إلى الشرق قط. وما صلى إلى أن توفاه الله إلا إلى بيت المقدس، وهى قبلة داود والأنبياء قبله وقبلة بنى إسرائيل» ويقول ابن تيمية في الرسالة القبرصية^(١): «ثم إن الصلاة إلى المشرق لم يأمر بها المسيح ولا الخواريون ابتدعها قسطنطين^(٢) أو غيره. وكذلك الصليب إنما ابتدعه قسطنطين برأيه وبمنام زعم أنه رآه.

وأما المسيح والخواريون فلم يأمرُوا بشيء من ذلك.

. وكذلك إدخال الأخان في الصلوات لم يأمر بها المسيح ولا الخواريون.

وبالجملة فعمامة أنواع العبادات والأعياد التى هم عليها لم تُنزل بها الله كتاباً ولا بعث بها رسولاً»

لعل فيها سبق الدليل الكافي والجواب الشافي على جزئي السؤال: هل يمكن للمسلمين أن يقتبسوا من هذه الأديان لتحسين طرق ممارساتهم لدينهم؟ وهل يقبل الاسلام نظرية توحيد الأديان؟

إن على الناس جميعاً ان يعتنقوا دين الاسلام الذي بعث الله تعالى به خاتم النبيين واشرف المرسلين كي يكونوا جزءاً لا يتجزأ من خير أمة اخرجت للناس .

(١) ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) قسطنطين رجلٌ رفعه النصارى على سرير الإباطرة سنة ٣٠٥م وانتصرت به النصرانية انتصاراً عظيماً في ميدان القتال ، ولكنها انهزمت به انهزاماً شنيعاً في معترك الأديان .

سؤال رقم

V

ما الموقف الصحيح الذي على المسلم
أن يتّخذه إزاء غير المسلمين ؟

لا ينهى الله تعالى المسلمين أن يكونوا بارين بغير المسلمين عادلين معهم إذا لم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم، على حين ينهى الله تعالى المسلمين عن أن يوالوا الذين قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم وأعانوا الذين أخرجوهم من ديارهم. قال تعالى^(١): ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم. ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ وبسبب تطبيق المسلمين هذه التعاليم السايوية السامية تبين أن زهاء ثلثي العالم الإسلامي فتحها الدين الإسلامي بذاته، فقد وصلها الدعوة إلى سبيل ربهم جل وعلا، علماً بأن المجاهدين في سبيل الله تعالى فتحو قلوب الذين انتهى إليهم الإنقاذ الإسلامي بحسن أخلاقهم وطيب معاملتهم غير المسلمين، قبل أن يفتحوا تلك البلاد جهاداً في سبيل الله تعالى.

وهكذا فتح الدعوة إلى الله تعالى، وفيهم المجاهدون، البلاد التي وصلوا إليها لانهم ترجوا إلى عمل معنى قوله تعالى^(٣): ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ومعنى قوله تعالى^(٤): ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ومعنى قوله تعالى^(٥): ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

إن للخلف أسوة حسنة في السلف الصالح، وإن على المسلم أن ينظر إلى غير المسلم على أنه شخص يقف على حافة جرف يكاد ينهار به، ليس فقط إلى الهاوية، ولكن إلى هاوية نار جهنم، فعليه أن يجتهد في محاولة إنقاذه بدعوته إلى الله تعالى وبالإخلاص في الدعوة، وقد قال تعالى^(٦): ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنْ

(١) سورة الممتحنة الآية ٨، ٩.

(٢) المقسطون: العادلون.

(٣) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٠٤.

(٥) سورة العنكبوت الآية ٤٦.

(٦) سورة العنكبوت الآية ٦٩.

الله لمع المحسنين ﴿ إن رب العزة يمن على كل من هداه إلى الإسلام ، وفيهم الأنصار الأوس والخزرج بنعمة الإنقاذ بالإسلام من حافة حفرة وشفا هاوية من نار جهنم . قال تعالى ^(١) : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .

ومن فضل الله تعالى أن كل من هداه الله تعالى إلى دين الإسلام وشرح صدره لاتباع دين محمد ﷺ لا ينسى لحظةً من اللحظات هذه النعمة العظيمة من الله تعالى عليه وفي الوقت ذاته يعمل جاهداً في حدود طاقته على مواصلة عملية الإنقاذ من نار جهنم .

وهكذا دخل الناس في دين الله تعالى أفواجاً وهكذا وصل الإسلام بفضل الله تعالى حيث وصل الليل والنهار .

وإن على كل داعية إلى الله تعالى أن يتمثل جيداً معنى مثل قوله تعالى ، خطاباً للمصطفى ﷺ في سورة القصص ^(٢) ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ وقوله تعالى ^(٣) : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنها يصعد في السماء . كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ إن الآية الكريمة تبين أن الذي يريد الله تعالى له الهداية إلى الصراط المستقيم يشرح صدره لدين الإسلام الذي بعث الله تعالى به محمد ابن عبد الله ﷺ ، والذي يريد الله سبحانه وتعالى أن يزيده ضلالاً فوق ضلاله يجعل صدره ضيقاً شديداً الضيق بسبب ما يملأ ذلك الصدر من شكوك وريب وأباطيل وضلالات وظلمات بحيث إن نور الإسلام لا يجد منفذاً إليه ولا مستقراً فيه . وبسبب تفاقم تلك العلل في صدر الضال الذي زاده الله تعالى ضلالاً يكون حاله في مجال المعنويات شبيهاً بحال الذي يزداد صدره في مجال المحسوسات ضيقاً وحرجاً بسبب صعوده إلى أعلى إلى السماء بسبب ارتفاع الضغط وقلة الأكسجين . وكلما ازداد الصعود ازداد الضيق والحرج . وهكذا لا يزداد المعرض عن الدعوة إلى صراط العزيز الحميد

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

(٢) سورة القصص الآية ٥٦ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

إلا إعراضاً. جاء على لسان نوح عليه السلام قوله عز من قائل^(١): ﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في أذانهم واستكشفوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً﴾. وإن على كل داعية أن يعلم بأن عليه البلاغ وحده. وقد قال تعالى مخاطباً حبيبه المصطفى ﷺ في سورة الرعد^(٢): ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلنا عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾.

بقى علينا أن نعرف أنه لا إكراه في الدين فلا يرغم أحدٌ على الدخول في دين الإسلام، وإن كان دينُ الإسلام الذي بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ هو الدين الذي لا يقبل الله تعالى من أي عبد ديناً سواه. قال تعالى^(٣): ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ إن الإيمان رشد وإن الكفر غي وإن الراشد هو الذي يختار دين الإسلام الذي أكمله جل وعلا ورضيه لنا وأتم به النعمة علينا، وإنه لا يكره أحدٌ على الدخول في دين الإسلام. قال تعالى^(٤): ﴿إن الدين عند الله الإسلام. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم. ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب. فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن. وقل للذين أوتوا الكتاب والأمةين أسلمتم^(٥) فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصيرٌ بالعباد﴾ وقال تعالى^(٦): ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ وقال تعالى^(٧): ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

وهكذا يتبين أن على المسلم أن يكون باراً بغير المسلم عادلاً معه مشفقاً عليه حريصاً على إنقاذه من الجرف الذي يوشك أن ينهار به في نار جهنم بسبب عدم اعتناقه دين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من عبد ديناً سواه. إن أهم عملٍ ينبغي أن يقوم به المسلم تجاه غير المسلم أن يدعو إلى دين الإسلام وإلى سبيل ربه جل وعلا بالحكمة وبالوعظة الحسنة وبالمجادلة وفق الطريقة التي هي أحسن والتي تعكس خلق دين الإسلام العظيم.

(١) سورة نوح الآية ٧.

(٢) سورة الرعد الآية ٤٠.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٩، ٢٠.

(٥) أسلمتم بمعنى أسلموا.

(٦) سورة آل عمران ٨٥.

(٧) سورة المائدة الآية ٣.

سؤال رقم

٨

هل نقول الإسلام أو دين الإسلام
أو ديانات الإسلام ؟

إن دين الإسلام واحدٌ في كل زمانٍ ومكانٍ لأن القرآن الكريم قد تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدين ، ولأن السنة النبوية المطهرة قد سخر الله تعالى لها جيشاً من العلماء عكفوا على خدمتها وصيانتها ، وهذه السنة المطهرة هي المبينة للقرآن الكريم ، والمراد بها أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته ، وبذلك تسنى للمسلم أن يتخذ من المصطفى ﷺ أسوة حسنةً له في مجاله الضيق الذي تخصص فيه ، فإن المصطفى ﷺ أسوة حسنة لكل مسلم ، لكل ذلك يصح أن نقول : «الإسلام» كما يصح أن نقول : «دين الإسلام» ولا يصح أن نقول : ديانات الإسلام .

لقد نطق القرآن الكريم بكلٍ من «الإسلام» و«دين الإسلام» قال تعالى ^(١) : ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ وقال تعالى ^(٢) : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وقال تعالى ^(٣) : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ وقال تعالى ^(٤) : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ .

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٤) سورة المائدة الآية ٣ .

سؤال رقم

٩

هل يمكن أن يتحقق للإنسان
الخلاص الروحي خارج الإسلام ؟

الجواب على هذا السؤال يعتمد على النقل لا العقل ، وقد عرفنا أن ثمة نوعين من الأديان ، أدياناً سبأوية كاليهودية والنصرانية ، وأدياناً غير سبأوية كوثنية عرب الجاهلية ، ومجوسية فارس قبل الإسلام ، وكبرهية الهند وبوذية الصين . وقد عرفنا أن الإسلام يعترف بالديانتين السبأيتين اليهودية والمسيحية باعتبارهما ديانتين تابعتين أساساً لرسولين كريمين هما موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام كما عرفنا أن دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ ناسخٌ لديانة كلٍّ من موسى وعيسى عليهما السلام .

وكى تتضح أبعاد الجواب الذى قلنا إنه يعتمد على النقل وحده ، فلا مجال للعقل ولا للاجتهاد فى هذه المسألة المهمة إنما المجال للوحى فإننا نود أن نقبس من أجل هذه الغاية نصوصاً من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة .

أمر الله سبحانه وتعالى المصطفى ﷺ أن يدعو أهل الكتاب من اليهود والنصارى والأميين من مشركى العرب الذين لا كتاب لهم^(١) إلى اعتناق دين الإسلام الذى بعثه الله تعالى به ، فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن أعرضوا فليس على المصطفى ﷺ سوى البلاغ ، والله سبحانه وتعالى بصيرٌ بالعباد ، فمن شاء هداه ومن شاء أضله قال تعالى^(٢) : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ . وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ بِغِيَائِهِمْ . وَمَنْ يُكَفِّرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . فَإِنْ حَاجَّكَ فَقُلْ أُسْلِمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ . وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أُسْلِمْتُمْ . فَإِنْ أُسْلِمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝﴾ .

وحينما جاء وفد نصارى نجران إلى النبی ﷺ وجادلوه فى عيسى عليه السلام وقامت عليهم الحجة وأصرروا على المجادلة أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم تنزع إلى الله تعالى ونخلص له الدعاء فنجعل لعنة الله تعالى والظرد من رحمته جل وعلا على الكاذبين منا أو منكم . فأبوا أن يلاعونه وصالحوه على الجزية^(٣) ودخلوا فى الذمة^(٤) وكان وفودهم سنة تسع .

(١) تفسير الطبرى ١٤٣/٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩ ، ٢٠ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ٢١١/٣ ، ٢١٢ وتفسير ابن كثير ٣٦٩/١ والرسالة القرصية لابن تيمية (نشر الافتاء) ٢٨

وطبع القاهرة ٥٨ .

(٤) الرسالة القرصية ٢٨ .

وأهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله ﷺ^(١) فإن أعرض وفد نصارى نجران وغيرهم عن الحق فإن الله سبحانه وتعالى عليهم بالذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ابتداءً بالإشراك مع الله تعالى غيره والزعيم بأن الله سبحانه وتعالى صاحبةً وولداً. ويأمر الله سبحانه وتعالى حبيبه المصطفى ﷺ أن يقول لأهل الكتاب من يهود ونصارى تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ وعدلٍ^(٢) بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله تعالى وحده لا شريك له ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فلا يطع بعضنا بعضاً في معصية الله تعالى بتحليل ما حرم الله تعالى أو تحريم ما أحل الله تعالى، فإن تولوا وأعرضوا فقولوا يا من آمنتم بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالقرآن الكريم دستوراً أشهدوا يا أهل الكتاب بأننا مسلمون، مستسلمون لله رب العالمين بالخضوع، مقادون له جل وعلا بالطاعة، خالصون من الشرك. قال تعالى^(٣): ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثم قال له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. إن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله هو العزيز الحكيم. فإن تولوا فإن الله عليهم بالفسدين. قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون﴾.

والله سبحانه وتعالى نهانا نحن المسلمين عن أن نجادل أهل الكتاب من يهود ونصارى إلا بالطريقة التي هي أحسن باستثناء الذين ظلموا منهم فإن جزاء السيئة سيئةٌ مثلها وأمرنا جل وعلا بأن نقول لهم آمنا بالذي أنزل إلينا من قرآنٍ كريم وأنزل إليكم من توراٍ وإنجيل وإهنا وإلهمم واحدٌ لا شريك له ونحن مسلمون لله رب العالمين. قال تعالى^(٤): ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإهنا وإلهمم واحدٌ ونحن له مسلمون﴾.

وجاء في تفسير ابن كثير^(٥) «عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: والذي نفسي

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٠.

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٢١٤.

(٣) سورة آل عمران الآيات من ٥٩ - ٦٤.

(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٦.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٤.

بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار. رواه مسلم. وقال ﷺ: بعثت إلى الأحمر والأسود. وقال: كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة، وقال الإمام أحمد: حدثنا مؤمل حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه. أن غلاماً يهودياً كان يضع للنبي ﷺ وضوءه^(١) ويناوله نعليه فمرض فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعدٌ عند رأسه، فقال له النبي ﷺ: يا فلان قل لا إله إلا الله. فنظر إلى أبيه فسكت أبوه. فأعاد عليه النبي ﷺ فنظر إلى أبيه فقال أبوه: أطع أبا القاسم. فقال الغلام: أشهد ألا إله إلا الله وأنتك رسول الله. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أخرجه بى من النار. رواه البخاري في الصحيح.

(١) الوضوء بفتح الواو: الماء يتوضأ به .

سؤال رقم

١٠

هل يمكن التأكيد بأنه عن طريق الإسلام يمكن
بناء عالم أخوي ، عالم كما يريد الله تعالى ؟
وما هي السبل لتحقيق ذلك ؟

نعم يمكن التأكيد بأنه عن طريق الإسلام يمكن بناء عالم أخوى، عالم كما يريد الله تعالى.

من المعروف في الإسلام أن ثمة أسساً وأركاناً يتفق عليها جميع المسلمين فلا يستطيع شخصٌ واحد يدعى الانتماء إلى الإسلام فيزعم أن أركان الإسلام أربعة - مثلاً - وليست خمسة كما بين ذلك الصادق المصدوق محمد ﷺ، أو أن يحل ما حرم الله تعالى أو يحرم ما أحل الله تعالى. وقد عرفنا أن القرآن الكريم قد تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدين وأن السنة النبوية المطهرة قد سخر الله تعالى لها جيشاً من العلماء الأخيار الذين انكبوا على خدمتها ونفى الزيف عنها.

وكانت الثمرة البانعة لكل ذلك تلك الصورة الواحدة أو الشبيهة بالواحدة للمسلمين في سائر أنحاء الدنيا. والمعروف أن تلك الصورة الواحدة للمسلمين أكثر وضوحاً في الماضي منها في الحاضر. إن العالم الإسلامي اليوم، بسبب اصطلاح العلل عليه، الخارجية والداخلية، يمثل الإسلام كما تمثله المرأة التي بها الكثير من الخدوش إن لم يكن الكسور. وإذا كان المسلمون بمثابة تلك الصورة غير السوية، فالمعروف أن التحول من صورة غير سوية إلى صورة سوية أمرٌ ليس بالمستحيل وإن كان صعباً ويحتاج إلى الكثير من العمل والمجهود.

فكيف يستطيع المسلمون اليوم أن يتحولوا من الصورة غير السوية إلى الصورة السوية، أو من الصورة إلى الحقيقة؟

قال النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة: خير القرون القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم^(١).

وبين مدى الإجابة المباشرة على السؤال المذكور أود أن أشير إلى أمرين اثنين.

الأمر الأول هو أن الحدود التي بينها القرآن الكريم الموحى به إلى المصطفى ﷺ قد طبقها المصطفى ﷺ نفسه، فقتل قاتل المظلوم وقطع يد السارق ورجم الزاني وطبق حدود قطع الطريق، وهكذا. والذي نود أن نقرره هو أن هذه الأحكام التي طبقها المصطفى ﷺ والخلفاء الراشدون والخلفاء المسلمون والقضاة ومن إليهم إنما طبقت

خلال القرون الأولى المفضلة . ومعنى هذا أن بناء العالم الأخوى في ظل الإسلام في أى زمانٍ وأى مكان لا يعنى تحول الناس إلى ملائكة لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولكنهم يذنبون ويتوبون إلى الله تعالى توبةً نصوحاً . يحدث ذلك في الوقت الذى تتجه فيه الأمة إلى بارئها جل وعلا أو ما سميناه بالعالم الأخوى الذى بناه الإسلام .

الأمر الآخر هو أن القرون الثلاثة الأولى من الإسلام إذا كانت أفضل من القرون التالية فإن هذه القرون التالية حدث فيها تقلبٌ للمسلمين بين الاستقامة والاعوجاج ، بين السير في الطريق المستقيم والخروج عليه والعودة إليه وهكذا . ومعنى تقلب المسلمين بين الاستقامة والاعوجاج تقلبهم بين الارتفاع والانخفاض بحيث إنهم ينخفضون أحياناً إلى الحضيض ويرقون أحياناً أخرى إلى الشَّهْء^(١) وهكذا دواليك . وكبلا يكون الكلام نظرياً أود أن أضرب مثلاً من الواقع . قبل زهاء ثلاثين سنة لم يكن يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب في مكة المكرمة سوى أئمة الحرم المكى وبعض العلماء والدارسين والكفيعين . أما اليوم فإن ما يزيد على ألف ومائتى إمام من أبناء جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة يؤمون المصلين في مساجد مكة المكرمة وحَدها خلال شهر رمضان المبارك ، في صلاتي القيام والتهجد ، علماً بأن كثيراً من الحفاظ لم يجدوا مساجد شاغرة يؤمون المصلين فيها ، وبأنه تخرج هذا العام ١٤١١هـ في حفظ القرآن الكريم كاملاً مائتان وستة وخمسون حافظاً من أبناء جماعة تحفيظ القرآن الكريم في مكة المكرمة . وكل الشئ ذاته عن سائر المدن بل القرى في المملكة العربية السعودية .

بعد هذا التمهيد أود أن أجيب بطريقٍ مباشر عن الكيفية التي يمكن عن طريقها بناء عالم أخوى كما يريد الله تعالى : إن الكيفية تتلخص في طاعة الله تعالى طاعةً مطلقةً وطاعةً لرسوله ﷺ طاعةً مطلقةً وذلك باتخاذهم ﷺ أسوةً حسنة . قال تعالى^(٢) : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ، فإن تنازعتم في شئٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً . وقال تعالى^(٣) : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ

(١) الشَّهْء والشَّهْء يضم السين : كوكبٌ خفىٌّ من بنات نعش الصغرى .

(٢) سورة النساء الآية ٥٩ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

الله كثيراً .

لقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن يطيعوه جل وعلا طاعةً مطلقةً وبأن يطيعوا الرسول ﷺ طاعةً مطلقةً، وإِنما تكون طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ عن طريق اتباع القرآن الكريم الذي بينت سنة المصطفى ﷺ معانيه وفصلت مجمله وكشفت غامضه وقد قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ في سورة النحل^(١): ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

وإذا كان من معجزات دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ أن القرآن الكريم، معجزة هذا الدين الكبرى، قد تكفل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدين . قال تعالى^(٢): ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فإن من معجزات هذا الدين أن هذا الكتاب العزيز معجزٌ بكل ما يُعطى وبما يمنع، ومما أعطى القرآن الكريم لنا نحن المسلمين أن لنا فى المصطفى ﷺ أسوةً حسنة . قال عز من قائل^(٣): ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ .

إنا حيننا ننظر إلى الإنسانية منذ عهد أبينا آدم عليه السلام مروراً بأول المرسلين نوح عليه السلام وبأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وبكبر أنبياء بنى إسرائيل موسى عليه السلام، وبآخر أنبياء بنى إسرائيل عيسى عليه السلام، وانتهاءً بخاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل، ونبحث بينهم عن الشخص الذى يصح أن يتخذ أسوةً حسنة لكل الناس فإننا نتبين أن هناك شخصيةً واحدةً فقط هى التى يصح أن تتخذ أسوةً حسنة، وهى شخصية محمد بن عبد الله ﷺ، لأن سيرته عليه الصلاة والسلام وحدها هى الكاملة العلمية العملية التأخرية . إنها سيرةٌ كاملةٌ لأننا نعرف يقيناً كل صغيرة وكبيرة عنه ﷺ لدرجة أننا نعرف أنه عليه الصلاة والسلام توفى وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاء^(٤) وإِنها سيرةٌ عمليةٌ لأنها تصور حياته ﷺ الفعلية حقاً، وإِنها سيرةٌ علميةٌ لأن القرآن الكريم مصدرها الأول ولأن العلماء الغيورين انكبوا على خدمتها والعناية بها فنفقوا عنها كل زيف وميزوا

(١) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٢) سورة الحجر الآية ٩ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٤) الشبائى المحمدية للإمام الترمذى ١٤ والسيرة النبوية د. مصطفى السباعى ١٦ .

الصحيح من أحاديث المصطفى ﷺ من غير الصحيح والصادق من الأخبار من غير الصادق . وإنها تاريخية لأن التاريخ يصدقها فهي قد وصلت إلينا بالتواتر وبالسند المتصل .

وإن من معاني كمال السيرة النبوية المطهرة أن سيرة المصطفى ﷺ تتسع لحياة كل إنسانٍ مهما كان ميدان تخصصه ضيقاً . إن حياته ﷺ تتسع لكل إنسانٍ كي يجتهد في محاكاتها جهد الطاقة وكله أملٌ ورجاءٌ أن يوفقه الله تعالى لمحاكاة ذلك الرسول الكريم في ذلك الجانب الضيق الذي تخصص فيه من سيرته عليه الصلاة والسلام . كن من شئت وستجد في المصطفى ﷺ أسوتك الحسنة مصداقاً لقول الحق ووعده الصادق بأن لنا في رسول الله أسوةً حسنة .

لقد أمرنا الله تعالى بطاعته جل وعلا وطاعة رسوله ﷺ طاعةً مطلقةً كيلا نضل ولا نشقى وقد قال تعالى^(١) : ﴿فَإِذَا يَأْتِيَكُم مِّنْهُدًى فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، وقرأ هذه الآية^(٢) وكما أمرنا الله تعالى بالطاعة أمرنا رسوله ﷺ ، فقد خاطب النبي ﷺ المسلمين في حجة الوداع بقوله^(٣) : ﴿وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه﴾ .

ولا ننسى أن الإسلام قد كفّل لغير المسلمين حقوقهم وواجباتهم ، وقد قال تعالى^(٤) : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوهُمْ . وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وقال تعالى^(٥) : ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ . وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ .

إن هذه التعاليم السبّاقية السامية هي التي جعلت الدولة الإسلامية تصل خلال

(١) سورة طه الآية ١٢٣ .

(٢) الرسالة التدميرية ٧٥ .

(٣) السيرة النبوية لأبن هشام (حلى تصوير بيروت ٤ / ٤٥١) .

(٤) سورة الممتحنة الآية ٨ ، ٩ .

(٥) سورة المائدة الآية ٥٠ .

ثانين عاماً فقط إلى قمة لم تدن منها الامبراطورية الرومانية بعد ألف عام^(١) هذا إلى أن الحضارة الإسلامية لم تختف لحظة من اللحظات وإن كانت قد تدرجت من القمة التي تسمتها بسبب مخالفة المسلمين تعاليم دينهم وقد قال تعالى^(٢): «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً. يعبدونني لا يشركون بي شيئاً. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون».

وإن هذه التعاليم السماوية السامية هي التي جعلت المسلمين حينما كانت لهم الكلمة الأولى في الدنيا ينصفون الناس قويمهم وضعيفهم^(٣) وهي التي جعلتهم مثلاً في التسامح مع أتباع الأديان الأخرى حتى إن واحداً من المؤرخين الغربيين هو «رينو» يقول^(٤): «إن المسلمين في مدن الأندلس كانوا يعاملون النصارى بالحنس، كما أن النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين فيختنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير» ويقول غوستاف لوبون^(٥): «إن الأمم لم تعرف فاتحين راحين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمسحاً مثل دينهم» وهي التي جعلت زهاء ثلثي العالم الإسلامي يفتحها الإسلام بأخلاق رجاله وسياحة دعائه .

عما سبق يتبين أن صلاح آخر الأمة إنما يكون بما صلح به أولها بطاعة الله تعالى واطاعة رسوله ﷺ، وهكذا يمكن بناء عالم أخوى كما يريد الله تعالى، وذلك بتطبيق تعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف المرسلين واتخاذ المصطفى ﷺ أسوة حسنة امتثالاً لأمر رب العالمين .

(١) انظر الإسلام على مفترق الطرق محمد أسد ٣٦ .

(٢) سورة النور الآية ٥٥ .

(٣) انظر هنا: من روائع حضارتنا د. مصطفى السباعي ٤٩ .

(٤) من روائع حضارتنا ٩٢ .

(٥) من روائع حضارتنا ٩٤ والسيرة النبوية د. مصطفى السباعي ١٥٥ .

سؤال رقم

11

كيف ينظر الإسلام إلى السلطات
السياسية والدينية ؟

لا فصل في الاسلام بين السلطات السياسية والدينية أو الدنيوية والدينية، لأن الحياة الدنيا في الإسلام دار العمل، ولأن الحياة الآخرة دار الثواب، ولأن مفهوم العبادة في الإسلام واسع إلى أبعد درجات الاتساع، فكل عمل صالح بمقاييس الإسلام، مهما كان نوعه، وأريد به وجه الله تعالى، يُعْتَبَرُ داخلًا في مفهوم العبادة. وإن السلطات السياسية أو الدنيوية تخضع لهذا المقياس، ومن هنا كانت الامانة أحد شرطين مطلوبين لتوافرها في القيادة، أما الشرط الآخر فهو شرط القوة أو العلم. جاء في سورة يوسف^(١) النص على شرطى الحفاظ بمعنى الامانة، والعلم بمعنى القوة. قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قال اجعلنى على خزانة الأرض إني حفيظٌ علم﴾ وجاء في سورة القصص^(٢) النص على شرطى القوة والامانة على لسان إحدى ابنتي نبي الله شعيب عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾.

والأمر الذى نود توكيده هو أن الإسلام لم يعرف الفصام النكد بين الدين والدنيا الذى عرفته أوروبا للدرجة التى صرح معها الدين بلسان رؤسائه أنه عدوٌ للعقل وعدوٌ لكل ما يثمره النظر^(٣) ولا يعترف الإسلام كذلك بما يسمى بالعلمانية أو اللادينية التى تصبغ الحضارة الغربية الرأسالية بصبغتها، ولا يعترف بالإلحاد الذى يصبغ الشيوعية بصبغته.

والعجيب فى الامر أن الحضارة الغربية بشقيها الغربى والشرقى لا تزداد عن الله تعالى إلا بعداً. لقد استطاعت الفلسفة اليونانية، وهى ليست سوى علم أصنام، أن تسيطر على الفكر اليهودى والمسيحى وأن تخرجه من دائرة التوحيد إلى الوثنية القديمة والإلحاد والإباحة. وقد كان الصراع نكداً بين الدين والعلم إلى أن انتهى الأمر بالدين إلى أن ينزوى فى الكنيسة والعلم إلى أن يندفع دون قائد من دين أو كايح من أخلاق. ومن أجل ذلك سيطرت العلمانية أو اللادينية على أوروبا وكل الغرب. وكانت العلمانية خطوة نحو الوجودية التى تنكر حاجة البشرية إلى توجيه الدين بالكلية وإلى السخرية بكل القيم المتصلة بالإيمان بالله تعالى. ثم كانت الماركسية اللينينية التى تنكر الألوهية

(١) سورة يوسف الآية ٥٥.

(٢) سورة القصص الآية ٢٦.

(٣) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ٣٣.

والأديان^(١) وهكذا يتبين أن الرأسمالية تلتقى مع الماركسية في التفسير المادى للتاريخ وفي إنكار البعد الإلهى والبعد الأخلاقى^(٢) علماً بأن الماركسية قامت بأخطر دور أخير لها وهو الحرب على الأديان والأخلاق والنبوات^(٣) وإن شعار الشيوعية: لا إله والحياة مادة^(٤) يقول جاردوى: إن ماركس يبنى ستار بروتشوس: أنا ضد كل الآلهة^(٥).

وشاء الله سبحانه وتعالى أن تسقط الشيوعية في لمح البصر وبأسرع مما توقع لها أبغض أعدائها بعد أن ذاق العالم ويلاتهما خلال سبعين سنة كانت مليئة بالفواجع والكوارث.

وبسبب سقوط الماركسية وهى الثمرة النكدة للنظام الرأسمالى العلمانى اللادينى والمضادة له يتوقع سقوط الأصل الذى يسمى كذباً بالديمقراطية، لأن الديمقراطية الغربية نسخة من ديمقراطية أثينا التى كانت تقيم العدالة بين السادة وحدهم^(٦) ومن عاش في تلك البلاد عرف يقيناً التفرقة العنصرية والباعث عليها وهو الكبر الزائف، ووهم الدم النقى، وخداع سمو الجنس.

وبسبب هذه الأخطاء الكبيرة والخطيرة التى تعتبر من مقومات الأنظمة السائدة، وهى علل تنبئ الى قرب سقوط الحضارة المريضة بها، ربما على غرار سقوط الشيوعية المفاجيء، لا يبقى سوى منهج الله تعالى المتمثل في دين الإسلام الذى بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ وأوحى إليه القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة. إن الإسلام هو المنهج الوسط الذى هدانا الله تعالى إليه والذى يجمع أحسن ما يكون الجمع بين الأولى والآخرة، الدنيا والدين، العلم والدين، العقل والدين، الأصالة والمعاصرة، الماضى والحاضر. وهكذا.

مما سبق يتبين أنه لا فرق في الإسلام بين السلطات السياسية والدينية، أو الدنيوية والدينية. إن كل الأعمال يجب أن تمارس بتوجيه من دين الإسلام الحنيف، وإن رجل الأعمال التى تسمى بالدنيوية يجب أن يتصرف وفق تعاليم الدين، وحينها يريد العامل

(١) انظر هـا مستقبل الإسلام للاستاذ أنور الجندي ٣٢ في بعدها دعوة الحق ١٠٥ .

(٢) مستقبل الإسلام ٣٤ .

(٣) مستقبل الإسلام ١٩ .

(٤) مستقبل الإسلام ٢٢ .

(٥) مستقبل الإسلام ٤٤ .

(٦) انظر مستقبل الإسلام ٣٧ .

بأى عمل يقوم به، بما في ذلك السياسة، وجه ربه الأعلى، بأن يسخر تمكين الله تعالى له في الأرض من أجل خدمة دين الله تعالى الذي بعث به خاتم النبيين وأشرف المرسلين فإن كل عمل صالح بمقياس الإسلام يقوم به ومن ورائه ذلك الباعث النبيل، يعتبر عبادة لله تعالى وحده لا شريك له، بمفهوم العبادة الواسع في الإسلام. وهكذا يتبين أن كل عمل صالح يقوم به المسلم وهو يريد به وجه ربه الأعلى، بما في ذلك لقمة الطعام التي يضعها المرء في فم زوجته يعتبر عبادة، كما يتبين أنه لا فصل في الإسلام ولا فصام في يقين المسلم بين الحياة الأولى والحياة الآخرة. إن الحياة الأولى حياة الحرث وبذر البذور والزرع، وإن الحياة الآخرة حياة الحصاد وجنى الثمار. ولا تكون الثمار إلا من جنس البذور. وإن للمسلمين أسوة حسنة في المصطفى ﷺ الذي كان رجل الدين ورجل السياسة، وقل الشيء نفسه عن السلف الصالح.

وبناء على ما سبق نستطيع إجابةً على السؤال: كيف ينظر الإسلام إلى السلطات السياسية والدينية؟ أن نقول: إن الإسلام ينظر إليهما على أنها وجهان لعملة واحدة.

سؤال رقم

١٢

ما هي صفات الله تعالى
في الإسلام ؟

صفات الله تعالى في الإسلام هي الاستفادة من أسماء الله تعالى الحُسنى . إن الله سبحانه وتعالى الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، له الكثير من الأسماء . قال تعالى^(١) : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ والمعنى أن الله تعالى الأسماء الحُسنى والصفات الأجل فسموه جل وعلا وادعوه بها . والمعروف أن للذات العلية اسماً واحداً هو : «الله» أما بقية الأسماء فإنها صفات ، بدليل أن هذا الاسم هو الذى يوصف بسائر الأسماء ومن ذلك قوله تعالى^(٢) : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ . سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ خَالِقُ الْبَارِئِ الْمَصُورِ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى . يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

وإذا كان لفظ الجلالة : «الله» هو الاسم لله تعالى الواحد ، وكان عظيم الأسماء كذلك ، فإن لفظ «الرحمن» هو عظيم الصفات ، جاء في سورة الإسراء^(٣) قوله تعالى : ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا . وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ .

جاء في الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله تسعاً وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة . وهو وترٌ يحب الوتر»^(٤) والمراد بالإحصاء حفظها عن ظهر قلب ، أو الإحاطة بمعانيها ، أو العمل بتلك المعانى^(٥) وقد فهم القرطبى من القول : «وهو وترٌ يحب الوتر» . معنى أوسع من صلاة الوتر مثلاً . يقول^(٦) : «ويظهر لى وجهٌ آخر وهو أن الوتر يراد به التوحيد فيكون المعنى أن الله في ذاته وكياله وأفعاله واحدٌ ويجب التوحيد . أى أن يوحد ويعتقد انفراداً بالألوهية دون خلقه ، فيلتزم أول الحديث وآخره . والله أعلم» .

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

(٢) سورة الحشر الآيات ٢٢ - ٢٤ .

(٣) سورة الإسراء الآية ١١٠ ، ١١١ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٢٦٨ وانظر فتح البارى ١١/٢١٤ حديث رقم ٦٤١٠ .

(٥) انظر مثلاً فتح البارى ١١/٢٢٥ وتفسير القرطبى ٢٧٦١ .

(٦) نقلاً عن فتح البارى ١١/٢٢٧ وانظر تفسير القرطبى ٢٧٦١ .

ويقول ابن كثير^(١): «ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهنى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحاً. فقيل: يا رسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال: بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها» ويقول ابن كثير^(٢) أيضا: «إن من أسماؤه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك».

والأصل في توحيد الأسماء والصفات أن يوصف الله بها وصف به نفسه وبها وصفه به رسله نفيًا وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبتته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه. وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكيفٍ ولا تمثيل، ومن غير تحريفٍ ولا تعطيل. وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبتته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسماؤه ولا في آياته. فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسماؤه وآياته كما قال تعالى: ﴿والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسماؤه سيجزؤن ما كانوا يعملون﴾^(٣). والمعنى اتركوا الذين يميلون عن الحق في أسماؤه حيث اشتقوا منها أسماءً لأهلهم كآلات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان^(٤) وقال تعالى^(٥): ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا. أفمن يُلْقَى في النار خير أم من يأتي أمنا يوم القيامة. اعملوا ما شئتم﴾. الآية. فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفى مماثلة المخلوقات لإثبات بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل. كما قال تعالى^(٦): ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. فنفى قوله: ﴿ليس كمثله

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٢١.

(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية ٤.

(٤) الجلالين وتفسير الطبري ٩/٩١ وتفسير القرطبي ٢٦٦٤.

(٥) سورة فصلت الآية ٤٠.

(٦) سورة الشورى الآية ١١.

شيء»، رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: ﴿وهو السميع البصير﴾، ردٌ للإلحاد والتعطيل^(١) ولهذا لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، قالوا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان^(٣).

(١) الرسالة التدمرية ٤ .

(٢) سورة طه ٥ .

(٣) الرسالة التدمرية ٣٥ .

سؤال رقم

٣١

كيف ترون مستقبل الإسلام ؟

نرى مستقبل الإسلام باهراً بإذن الله تعالى مصداقاً لقول الحق جل وعلا في محكم كتابه^(١): ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ وقوله تعالى^(٢): ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ إن وعد الله حقٌ وصدق، وإن الله سبحانه وتعالى قوانين ونواميس بينها كل من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهي قوانين لا تحابي أحداً ولا تجامله. وإن من أكثر آيات الذكر الحكيم تبيناً لهذه القوانين، وتوضيحاً لهذه النواميس قوله عز من قائل في سورة النور^(٣): ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا. يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا. وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وقوله تعالى في سورة الرعد^(٤): ﴿لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ. وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾. ومعنى آية سورة الرعد أن للعبد جماعاتٍ من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته. والأصل معتقبات، فأدغمت التاء في القاف، كقوله: وجاء المعذرون، بمعنى المعتذرون^(٥) وسميت الملائكة معقبات لأن بعضهم يعقب بعضاً، أو لأنهم يعقبون ما يتكلمون به فيكتبونه^(٦) فالمراد أن العبد له ملائكة يتعاقبون عليه، حرسٌ بالليل وحرسٌ بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خيرٍ أو شر. ملائكة بالليل وملائكة بالنهار. فائتان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات. وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدٌ من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاكٍ بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلا، حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم

(١) سورة التوبة الآية ٣٣ والصف الآية ٩ .

(٢) سورة الفتح الآية ٢٨ .

(٣) سورة النور الآية ٥٥ .

(٤) سورة الرعد الآية ١١ .

(٥) الكشف ٢ / ١٦٠ .

(٦) البحر المحيط ٥ / ٣٧١ .

يصلون وتركناهم وهم يصلون^(١) وتبين الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بأن يبدلوا نعمة الله تعالى كفرًا، كما تقرر أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بقوم سوءاً من هزيمة أو مريض أو فقير وما إلى ذلك فلا مرد له وما لهم من دونه جل وعلا من وال يلى أمرهم ويدفع عنهم^(٢) وهذه الجزئية في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ تبينها هذه الآية الكريمة من سورة الأنفال^(٣) قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ لَمْ يَكْ مَغْيِرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وحينما يبدل أى قوم نعمة الله تعالى كفرًا ويسلبهم الله تعالى تلك النعمة فذلك معناه أنهم إن أرادوا أن تعود إليهم بإذن الله تعالى تلك النعمة أن يعودوا إلى الله تعالى . وبقدر العودة إلى الله تعالى وتطبيق منهجه في الأرض يكون بإذن الله تعالى عزهم ومجدهم وسؤددهم^(٤).

وقد قال النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة: خير القرون القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم^(٥).

ونود أن نلقى نظرة خاطفة على أهم معالم تاريخ هذه الأمة المسلمة التى أراد الله تعالى لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

ولد المصطفى ﷺ صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول الموافق لليوم العشرين من إبريل سنة ٥٧١ من الميلاد . وهو يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل^(٦) التى نزلت فيها سورة الفيل^(٧).

ولما بلغ عليه الصلاة والسلام سن الكمال وهى أربعون سنة أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة إلى نور العلم وكان ذلك في أول فبراير سنة ٦١٠ من الميلاد كما أوضحه محمود باشا الفلكي . تبين بعد دقة البحث أن ذلك كان في

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٠٣ .

(٢) الكشف ٢/ ١٦١ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٥٣ .

(٤) بينا هذه المعاني في شيء من البسط في كتابنا تأملات في سورة الرعد ٨٣ فما بعدها .

(٥) الرسالة التدمرية لأبن تيمية ٧٤ .

(٦) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ١٠ .

(٧) السورة رقم ١٠٥ من المصحف الشريف .

١٧ رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة وذلك يوافق يوليو سنة ٦١٠ م^(١).

مكث المصطفى ﷺ في مكة المكرمة يدعو قومه إلى دين الله تعالى ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة. ومن الغريب المدهش الذي لا يُقضى منه العجب أنه ما أسلم في ثلاثة عشر عاماً إلا زهاء ثلاثمائة شخص^(٢).

بسبب أذى قريش الشديد للمسلمين أمرهم المصطفى ﷺ بالهجرة إلى الحبشة مرتين اثنتين ثم أمرهم بالهجرة إلى المدينة المنورة التي كانت تعرف آنذاك باسم يثرب، ثم أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنورة. وقد وصل النبي ﷺ إلى قباء، إحدى ضواحي المدينة المنورة وعلى بعد زهاء ميلين اثنين من مسجده عليه الصلاة والسلام بها، في اليوم الثاني من ربيع الأول الذي يوافق ٢٠ سبتمبر ٦٢٢ م^(٣).

محمد بن عبد الله ﷺ هو النبي الوحيد الذي اقترنت دولته بدعوته. فقد أسس عليه الصلاة والسلام دولته منذ أن وصل إلى المدينة المنورة مهاجراً. وكانت حدود هذه الدولة الفتية هي حدود العاصمة يثرب، ولم يلحق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى بعد عشر سنوات من الهجرة حتى كانت دولته عليه الصلاة تغطي شبه جزيرة العرب، أكبر شبه جزيرة في الدنيا، هذا إلى تحول سكان هذه الدولة أو شبه الجزيرة من الإشراك مع الله تعالى غيره إلى التوحيد. وكانت وفاته ﷺ ضحى يوم الاثنين ١٣ ربيع أول سنة ١١ (٨ يونيو سنة ٦٣٣) فيكون عمره عليه الصلاة والسلام ٦٣ سنة قمرية كاملة، وثلاثة أيام، وإحدى وستين شمسية وأربعة وثلاثين يوماً^(٤).

لم يؤذن للمسلمين بالقتال طوال الفترة المكية وقد قيل لهم حينها طلبوا الإذن بالقتال^(٥): ﴿كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾.

أذن لرسول الله ﷺ في القتال لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة^(٦) وذلك في قوله تعالى من سورة الحج^(٧): ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم

(١) نور البقين ٣١.

(٢) انظر نظرية الإسلام وهدايه لأبي الأعلى المودودي ١٢٥.

(٣) نور البقين ٩٥.

(٤) نور البقين ٢٩٨.

(٥) سورة النساء الآية ٧٧.

(٦) نور البقين ١١٢ هامش ٧٦.

(٧) سورة الحج الآيات من ٣٩ - ٤١.

ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ. وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتْ دَمَاطُكُمْ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا. وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ. إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمُ الْأَرْضَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ. وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١﴾.

بلغ عدد الغزوات التي باشرها المصطفى ﷺ بذاته الشريفة سبعاً وعشرين غزوة، وبلغ عدد البعث والسرايا ستين بعثاً وسرية^(١).

غزوة تبوك آخر غزواته ﷺ وكانت في رجب سنة تسع للهجرة^(٢) ويقال في سبب هذه الغزوة إن رسول الله ﷺ اتصل به نبأ تهيب الروم لغزو حدود العرب الشمالية^(٣) فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثين ألفاً من الناس من المدينة إلى تبوك، وكان أكبر جيش خرج به في غزوة^(٤) وكان أعظم ما رآته العرب حتى ذاك، ومعه ﷺ من الخيل عشرة آلاف^(٥) وكان خروج النبي ﷺ إلى تبوك يريد هرقل والروم بعد مضي عامين اثنين فقط على انتصار هرقل للرائع وجيوش الروم على الفرس سنة سبع للهجرة^(٦).

لم يمض على وفاة المصطفى ﷺ مائة وثمانية عشر عاماً حتى كانت راية الإسلام، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، عالية خفاقة على حدود الدولة الإسلامية التي تمتد دون انقطاع من حدود الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً^(٧).

الإسلام دين العلم، فليس ثمة دين حث على التعلم كالإسلام^(٨) يبدو ذلك من تأمل أول ما نزل من القرآن الكريم. قال تعالى^(٩): ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.﴾

(١) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٣١٥.

(٢) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٣١٥.

(٣) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٣٠٥.

(٤) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٣٠٩ وانظر ص ١١٠ من السيرة النبوية، دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعي.

(٥) السيرة النبوية، دروس وعبر. د. مصطفى السباعي ١١١.

(٦) انظر السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ٣٠٥.

(٧) انظر هنا الإسلام قوة الغد العالمية ٣٦ تأليف بول شمتر ترجمة د. محمد شامة القاهرة المحرم سنة ١٣٩٤ هـ يناير ١٩٧٤م الناشر مكتبة وهبه.

(٨) انظر هنا الإسلام على مفترق الطرق ٧٠ تأليف محمد أسد ترجمة د. عمر فروخ.

(٩) سورة العلق الآيات من ١ - ٥.

كما يبدو من الوقوف على أن أول قَسَم في القرآن الكريم كان بالقلم. قال تعالى ^(١): ﴿إِن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ هذا إلى أن لفظ العلم ومشتقات هذا اللفظ جاء في القرآن الكريم فيما يزيد على الثمانمائة موضع. وكانت نتيجة العناية الفائقة بالعلم في الإسلام أن قفزت الأمة الإسلامية درجات سلم الحضارة، فوصلت خلال ثمانين سنة فقط إلى قمة من الحضارة سامقة تفوق سناً وسناء القمة التي انتهت إليها الحضارة الرومانية خلال ألف عام ^(٢) هذا إلى أن الحضارة الرومانية غدت أثراً بعد عين خلال قرني واحد من الزمان على حين احتاجت الدولة الإسلامية ألفاً ومائتي عام كي تسقط الخلافة العثمانية ^(٣) هذا إلى أن الوجه المشرق للحضارة الإسلامية لم يخطف لحظة من اللحظات، فلا يكاد بأقل نجم حتى يبرز نجمٌ جديد، هذا إلى أن الأمل كبيرٌ في الله تعالى أن يبرز النجم الآفل من جديد. إن الأندلس، فردوس المسلمين المفقود حيناً سقطت كان الإسلام في تلك الأثناء يفتح بلاداً جديدةً في جنوب شرقى آسيا. وإن فلسطين حينها سقطت ولدت دولة باكستان الفتية. وهكذا.

عصفت بالآمة الإسلامية الكثير من الأعاصير، وقد نجت منها جميعاً بفضل الله تعالى، وهذا مؤشِّرٌ على نجاحها بإذن الله تعالى من كل الأعاصير في الحال والمآل. ومن أعتى تلك الأعاصير الحروب الصليبية التي توجت بانتصار السلطان صلاح الدين الأيوبي على جيوش الصليبيين في معركة حطين وبعد ثلاثة أشهر فتح الله تعالى على يد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس وكان دخول صلاح الدين والمسلمين إليها في يوم الجمعة الموافق السابع والعشرين من شهر رجب ^(٤) سنة ٥٨٣هـ الليلة الثانية من أكتوبر سنة ١١٨٧م ^(٥) ومن أعتى الأعاصير جيش التتار الذي دمر بغداد سنة ٦٥٦هـ والذي كان يقال عن وحشية أفرادهِ: إن قيل لك إن التتار انهزموا فلا تصدق. لقد غدا التتار أثراً بعد عين بعد أن انتصر عليهم سيف الدين السلطان قطز بن عبد الله المعزى في معركة عين جالوت بفلسطين سنة ٦٥٨هـ ^(٦).

تمر الآمة الإسلامية حالياً بفترةٍ عصبيةٍ شبيهةٍ بفترة الحروب الصليبية. لقد نصر

(١) سورة القلم الآية ١.

(٢) انظر الإسلام على مفترق الطرق ٣٦.

(٣) انظر الإسلام على مفترق الطرق ٣٧.

(٤) معارك حول القدس د. محمد ضياء الدين الرئيس ٢٩ هدية من مجلة الأهرام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٥) صلاح الدين الأيوبي د. جمال الدين الرمادي ٣٤ كتاب الشعب مصر ١٩٥٨م.

(٦) انظر الأعلام للزركلي. المظهر قطز ٢٠١/٥.

الله تعالى المسلمين حينما تابوا إلى الله تعالى توبةً نصوحاً وأبوا إليه جل وعلا: ﴿وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه﴾^(١). وبإذن الله تعالى سيسلك المسلمون هذه السبيل، وسيعودون إلى الله تعالى عاجلاً أو آجلاً، طائعين أو مرغمين. وقد قال تعالى^(٢): ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ وقال تعالى^(٣): ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. والله واسع عليم﴾.

أكرم الله تعالى الأمة الإسلامية بكل مقومات العزة والسؤدد، فعليها أن تعود إلى الله تعالى وإن تقوم بها يجب عليها من شكر الله تعالى على نعمه العظيمة عليها وآلائه الجسيمة التي ليست لأي أمة من أمم الأرض اليوم وبالأملس وغداً. ويأتي على رأس هذه النعم العقيدة النقية الصافية. ومن هذه النعم وفرة العدد والخصوبة البشرية ووفرة المواد الخام والطاقة والموقع الجغرافي المتميز^(٤).

إن كل ما يحتاج إليه العالم الإسلامي تجهيزٌ علميٌّ فني^(٥).

سيكون مستقبل الإسلام باهراً بإذن الله تعالى حينما يعود المسلمون بصدقٍ إلى بارئهم جل وعلا وحينما يعملون بها علموا في القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ وحينما يعون ويرجعون إلى عمل معنى مثل قوله تعالى^(٦): ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا. يعبدونني لا يشركون بي شيئاً. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾. ومثل قوله تعالى^(٧): ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ ومثل قوله تعالى^(٨): ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين

(١) سورة التوبة الآية ١١٨.

(٢) سورة محمد ﷺ الآية ٣٨.

(٣) سورة المائدة الآية ٥٣.

(٤) انظر الإسلام قوة الغد العالمية الصفحات ٤٤، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٧٧، ١١٦ والباب الرابع: أسس القوة

التأمية في العالم الإسلامي ١٧٩ - ٢١٤.

(٥) الإسلام على مفترق الطرق ٧٤.

(٦) سورة النور الآية ٥٥.

(٧) سورة الأحزاب الآية ٢١.

(٨) سورة الأنفال ٦٠.

من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون ﴿١﴾ .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

الغائمة

مستعيناً بالله تعالى متوكلاً عليه جل وعلا وحده لا شريك له حاولت في الصفحات السابقة أن أجيب - جهد الطاقة - على الأسئلة التي ألقاها أحد القسّس على أحد الدعاة إلى دين الإسلام دين الحق الذي وعد الله تعالى - ووعد الحق - بأن يظهره على الدين كله . وكفى بالله تعالى شهيدا . والله سبحانه وتعالى أسأل أن أكون قد وفقت في هذه الاجابة سائلاً الله تعالى أن ينفع بها وأن يتقبلها إنه جل وعلا أعظم مسئول وأكرم مأمول .

ولما كان كثيرٌ من الأجوبة يعتمد على النقل لا العقل فقد كنت حريصاً على أن أنسب كل اقتباس إلى موضعه ، وكل فضلٍ إلى صاحبه : ﴿وما توفيقى إلا بالله . عليه توكلت وإليه أنيب﴾^(١) .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البنيانية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

**فهرست
المصادر
والمراجع**

القرآن الكريم:

ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم) الرسالة التدمرية. القاهرة ١٣٨٧هـ نشرها قصی حب الدين الخطيب. الرسالة القبرصية. تحقيق على السيد صبح المدني. نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية. بدون تاريخ. وطبعة مطبعة المدني بمصر ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تحقيق د. صلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديد بيروت لبنان ١٩٧٦ - ١٣٩٦ الطبعة الأولى.

ابن حجر (الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني) فتح الباری بشرح صحيح البخاری. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، حب الدين الخطيب المكتبة السلفية.

ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق وتعليق الرحالي الفاروقي، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي صادق العناني. الطبعة الأولى قطر ١٣٩٨هـ ١٩٧٧م.

ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م حلي مصر.

ابن القيم (محمد بن أبي بكر) زاد المعاد في هدى خير العباد. مصطفى البابي الحلبي. مصر ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. مكة المكرمة. مؤسسة مكة للطباعة والنشر. من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ رقم (٢).

ابن كثير (عبد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير) تفسير القرآن العظيم. دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م ودار المعرفة. بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. تصوير دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان ١٩٨٥م.

أبو حيان (محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان) البحر المحيط. بيروت. تصوير. بدون تاريخ.

أسد (محمد) الإسلام على مفترق الطرق. ترجمة وتعليق الدكتور عمر فروخ الطبعة السابعة ١٩٧١م بيروت.

الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرأغب الأصفهاني) المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد الكيلاني. دار المعرفة. بيروت. لبنان. بدون تاريخ.

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب. بيروت ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.
(د. حسن محمد) تأملات في سورة الرعد القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تأملات في سورة الفرقان القاهرة ١٩٧٧م تأملات في سورة محمد ﷺ القاهرة ١٩٨٠م.

البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) كتاب الصحيح. كتاب الشعب ١٣٧٨هـ.
الترمذي (أبو عيسى محمد بن سورة) الشائيل المحمدية. إخراج وتعليق محمد عفيف الزعبي. الطبعة الأولى. جده. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- الحندي (أنور) مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية دعوة الحق. رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة. السنة التاسعة. العدد ١٠٥ عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الحضري (محمد) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين. الطبعة الثانية. دار المعارف للطباعة. بدون تاريخ.
- الزماوي (د. جمال الدين) صلاح الدين الأيوبي. كتاب الشعب ٢٥ مطابع الشعب ١٩٥٨م.
- الريس (د. محمد ضياء الدين) معارك حول القدس. مجمع البحوث الإسلامية. رجب ١٣٩٢هـ - أغسطس ١٩٧٢م.
- الزركلي (خير الدين) الأعلام. الطبعة الخامسة. بيروت ١٩٨٠م.
- الزغشري (أبو القاسم) جار الله محمود بن عمر الزغشري الخوارزمي (الكشاف مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م).
- السباعي (د. مصطفى) السيرة النبوية. دروس وعبر. مطبوعات المكتب الإسلامي. دمشق وبيروت. وتوزيع المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية. الدوحة. قطر ١٤٠٠هـ - من روائع حضارتنا مطبوعات المكتب الإسلامي. دمشق. بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- السموعل (بن يحيى المغربي) إفتحام اليهود تقديم تحقيق تعليق د. محمد عبد الله الشرقاوي. طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٧هـ.
- السيوطي (جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي) تفسير الجلالين.
- الشرابصي (د. أحمد) أدب الأحاديث القدسية. الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م مطابع دار الشعب القاهرة.
- شمز (بابل) الإسلام قوة الغذاء العالمية. ترجمة الدكتور محمد شامة القاهرة ١٩٧٤م.
- طبري (أبو جعفر محمد بن جرير) جامع البيان في تفسير القرآن. الطبعة الأولى. بولاق ١٣٢٩هـ.
- عبد (الشيخ محمد) رسالة التوحيد. الطبعة السابعة عشرة. ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م وطبعة دار المعارف الطبعة الخامسة ١٩٧٧م.
- مبلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري) كتاب الصحيح بشرح النووي. المطبعة المصرية ومكتبتها.
- المودودي (أبو الأعلى) نظرية الإسلام وهدى في السياسة والقانون والدستور. بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- الندوي (أبو الحسن علي الحسن الندوي) السيرة النبوية. الطبعة الأولى. دار الشروق جدة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. الطبعة الثالثة. القاهرة. ١٩٥٩م - ١٣٧٩هـ.
- النوي (يحيى بن شرف) متن الأربعين النووية ألمانيا الغربية ١٩٧٦م.

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٦
سؤال رقم (١) : ما هي الظروف التي ولد فيها الإسلام ؟	١١
أو ما هي أسباب ظهور الإسلام ؟	
سؤال رقم (٢) : اذكر ثلاث نقاط تميز الإسلام عن النصرانية	٢٧
سؤال رقم (٣) : من هم الذين بشروا بمحمد ﷺ	٣٥
سؤال رقم (٤) : من هو المؤسس الحقيقي للإسلام ؟	٤٣
سؤال رقم (٥) : نرجوكم أن تقدموا عرضاً مختصراً عن الإسلام من حيث :	٤٧
العقيدة .	
أركان الإسلام .	
المراتب الدينية في الإسلام .	
أنواع الوحي في الإسلام .	
سؤال رقم (٦) : كيف ينظر الإسلام إلى الأديان الأخرى ؟	٥٣
وهل يمكن للمسلمين أن يقتبسوا من هذه الأديان	
لتحسين طرق ممارستهم لدينهم ؟	
وهل يقبل الإسلام نظرية توحيد الأديان وهو ما يعرف بالمسكونية ؟	
سؤال رقم (٧) : ما الموقف الصحيح الذي على المسلم أن يتخذه إزاء غير المسلمين ؟ ..	٦٣
سؤال رقم (٨) : هل نقول الإسلام أو دين الإسلام أو ديانات الإسلام ؟	٦٧
سؤال رقم (٩) : هل يمكن أن يتحقق للإنسان الخلاص الروحي خارج الإسلام ؟	٦٩
سؤال رقم (١٠) : هل يمكن التأكيد بأنه عن طريق الإسلام يمكن بناء	٧٣
عالم أحرى ، عالم كما يريد الله تعالى ؟ وما هي السبل لتحقيق ذلك ؟	
سؤال رقم (١١) : كيف ينظر الإسلام إلى السلطات السياسية والدينية ؟	٧٩
سؤال رقم (١٢) : ما هي صفات الله تعالى في الإسلام ؟	٨٣
سؤال رقم (١٣) : كيف ترون مستقبل الإسلام ؟	٨٧
الخاتمة :	٩٥
فهرست المصادر والمراجع	٩٧